التربية الجنسية

ضرورة ... أم ضرر؟

الدكتور عبد الحميد القضاة

محمود الشريدة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٤/٨/٣٦١٢)

٢١٨,٩

القضاة، عبد الحميد عبد الله

التربية الجنسية: ضرورة أم ضرر/ عبدالحميد عبدالله القضاة.-

عمان: جمعية العفاف الخيرية، ٢٠١٤

( ) ص .

ر.إ: (٢٠١٤/٨/٣٦١٢).

الواصفات :الإسلام//التربية الجنسية//الشباب

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧
ضرورة ... أم ترف؟	١٥
لكل غيور عاقل ...!	٢٣
الجنس والقضايا الجنسية في النصوص الشرعية	٢٨
يحسبونه حياءً... وما هو من الحياء في شيء!!	٣٥
كيف نثقف أبناءنا جنسيا؟	٤٥
ما هو التثقيف الجنسي؟	٤٥
كيف نخاطب أبناءنا؟	٤٦
البداية المبكرة	٤٧
اعتماد أسلوب الحوار	٤٨
لا تكن مشدود الأعصاب	٤٩
كن منفتحاً	٤٩
الخطاب بالقدوة والثقة	٤٩
اهتمام غير مقطوع	٥٠
كُن أميناً	٥٠
تحلَّ بالصبر	٥٠
اغتنم الفرص	٥١

لا تستسلم ٥٢
أدعُ لهم بالسر والعلن ٥٢
علّمهم العادات الحسنة منذ الصغر ٥٢
الثقافة والتثقيف الجنسي ؟؟ ٥٣
تعريف الثقافة الجنسية ٥٣
تعريف التثقيف الجنسي ٥٥
تعريف التربية الجنسية ٥٦
معلومات عامــة ٦٠
تمهيد ٦٠
الجهاز التناسلي عند الذكر ٦١
الجهاز التناسلي عند الأنثى ٦٤
المنهج الاسلامي في التثقيف الجنسي وضوابطه الشرعية ٦٩
اولا: الاسلام والغريزة الجنسية ٦٩
ثانيا: المراحل (الفئات) العُمرية ٧٢
المراحل العُمرية في القرآن الكريم ٧٣
المراحل العُمرية في السنة النبوية المطهرة ٧٨
ثالثا: التثقيف الجنسي وضوابطه الشرعية حسب المرحلة العُمرية ٧٨
التثقيف في مرحلة الطفولة ٧٩

التثقيف في مرحلة البلوغ ٩٢
التثقيف في مرحلة التهيئة للزواج ٩٦
رابعا: الجلسة القرآنية العائلية الأسبوعية ٩٨
خامسا: قصص لمساعدة الآباء والأمهات في تثقيف الأبناء جنسيا ١٠٣
سادسا: الأدب "الإتيكيت" الاسلامي في المعاشرة الزوجية ١١١
التّجَملُ وإصلاحُ الهيئةِ ١١٦
المرسال ١١٧
الدعاء الخاص بالمعاشرة ١١٨
مراعاة حق الطرفين ١١٩
المعاودة ١١٩
الاغتسال أو الوضوء قبل النوم ١٢٠
تحريم الحديث في أسرار المعاشرة الزوجية ١٢٠
كيف تحفظ ابناءك من العـادة السرية؟ ١٢٢
تمهيد ١٢٢
المقدمة ١٢٤
التاريخ والانتشار ١٢٦
نظرة الأديان إلى هذه الممارسة ١٢٧
البداية والدوافع ١٢٧

الأضرار هل هي حقيقية أم موهومة؟ ١٢٩
عواقب الاستمناء ١٣٢
الآثار الصحية على أجهزة الجسم ١٣٢
الآثار الاجتماعية ١٣٤
الآثار الاقتصادية على الفرد والمجتمع ١٣٦
الآثار النفسية ١٣٧
العادة السرية والجريمة ١٣٨
الوقاية خير من العلاج ١٣٩
برنامجك العلاجي ١٤١
العلاج البغضي «الرابط» ١٤٥
راقبوا أبناءكم ١٤٥
ضوابط وأخلاقيات التثقيف الجنسي ١٤٨
الخلاصة ١٥٥
المراجع ١٥٧

تمهيد

لو تجرأ أحدهم وسأل قبل ثلاثين عاما قائلا: هل نحن بحاجة للثقافة الجنسية؟ لاستهجن الجميع هذا السؤال، ولاعتبروه خارجا عن المألوف، ولربما وصف صاحبه بأنه قليل الحياء مشكوك في مروءته، لأنه يسأل عن أمر يُعد الكلام فيه من المحرمات حسب الأعراف والتقاليد ومفاهيم الناس في ذلك الزمن، ولئن كان عدم الخوض في موضوع التثقيف الجنسي مقبولاً حينها، وغيابه عن اذهان الناس لا يُشكل نقصا في علومهم ومعرفتهم، ذلك لأن هذا الجانب من حياتهم متناغم مع واقعهم، ويسير في المجتمع على سجيته، وفي منتهى البساطة، فهو متناسب مع تطورهم النفسي والجسمي والذهني والعاطفي؛ ولعل ذلك راجع لأسباب عدة أهمها:

١. خلو المجتمع من المثيرات والمؤثرات الخارجية، وبالتالي فغرائز الفرد فيه في سُبات عميق، إذ قد لا تتحرك إلا قُبيل اقترانه بشريكة حياته، إلا في حالات شاذة نادرة، ولاعجب في ذلك، فالحياة كانت أكثر جدية، اذ لا وقت لعبث او مجون او ترف، واقصى ما يكون قد سمعه أحدهم هو دندنات حصَّاد، او حادي إبل، او ناي راع للغنم !! وكلها تحمل في ثناياها شحذ الهمم، وإكبار القيم السامية، وتعظيم المروءة والرجولة!

٢. بساطة الحياة وقلة متطلباتها الاجتماعية، اضافة الى محدودية اهتمامات الناس، فجلّهم يبكرون في الزواج الذي يُتيح لهم الممارسات

الجنسية المشروعة عملياً، بمعلوماتهم البسيطة التي وفرتها لهم الظروف المتاحة المحدودة. فتراهم يخوضون غمار الحياة الاجتماعية والمعاشرة الزوجية الفطرية، ويتعاونون في تأسيس الأسرة، ويُنجبون البنين والبنات بأقل التعقيدات والمعاناة. لذلك، فالتبكير في الزواج وتيسيره يعفي الشاب أو الفتاة من المكوث مطولاً في فترة المعاناة، أي ما بين سن البلوغ والشعور بالحاجة للجنس، وبين الدخول العملي في هذه التجربة الحياتية الفطرية واشباع الرغبة بشكل طبيعي يتقبله المجتمع وتقره الشريعة والقانون، وترتاح له الفطرة السليمة.

٣. محدودية مصادر التلقي لدى الشاب في جميع مراحل حياته، خاصة فيما يتعلق بالأمور الجنسية؛ وسهولة ضبط هذه المصادر، والسيطرة عليها لبساطتها ومحدوديتها، والتلقي إن حصل، فلن يتجاوز الوالدين، والمدرسين والزملاء في المدرسة، وذلك لندرة توفر أية مؤثرات سلبية أو ايجابية خارج هذا الإطار، كالمجلات الإباحية، وصعوبة حصول الشاب عليها.

أما الآن في هذا الفضاء الرحب المفتوح والاختلاط اللا محدود، وأمام وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، كل ذلك جعل ما كان سائدا في السابق، غير مقبول عند كل افراد المجتمع، وعليه فلا بد من التدخل الإيجابي المباشر السريع لتصويب المسيرة، وتصحيح المعلومات؛ درءاً لأي مفسدة قد تؤثر في سلوك الطفل، أو نفسيته، وذلك للأسباب التالية:

١- الانفتاح الاجتماعي الكوني: الذي أدى إلى تغيرات كثيرة

وجوهرية اقتحمت منظومة العادات والتقاليد المحلية، وفرضت نفسها عليها بقوة العُرف التي تُطاول قوة القانون، من جراء الحملات الإعلامية المكثفة في وسائل الإعلام المختلفة التي دخلت كل بيت، حيث أخذت بعض المفاهيم المجتمعية بالانحراف عن مسارها الطبيعي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: مفهوم الحرية الشخصية، أصبح معناه أن يتجاوز الشخص على عادات وتقاليد المجتمع حسب ما يلائم هواه، بلا خوف ولا وجل، وليس من حق أحد أن يعترض عليه، سيما وأن هذا الأمر تبنته واعتمدته قوانين حقوق الإنسان الدولية، مما افقدنا سياجا تربويا هاماً، كان يردع المخالفين والمنحرفين، ويوجه السلوك العام بالاتجاه السليم. اضافة الى مفهوم حرية المرأة وتمكينها من حقوقها، الذي أصبح يأخذ شكلاً من أشكال الاعتداء على قيم المجتمع وحشمته، وقد ساهم بعض المتعلمين من أبناء جلدتنا، الذين تخرجوا من الغرب، وساروا في ركابه، بنشر هذه المبادئ الغربية الغريبة، بهدف توطينها في أذهان أبنائنا وبناتنا، ومن ثمَّ ترجمتها إلى سلوكيات تهدد أركان المجتمع، وتعمل على تقويضه من كافة أركانه. وأدواتهم في ذلك:

أ. التلفاز: بمختلف برامجه التثقيفية والترفيهية وحتى الإعلانات التجارية.

ب. المسرح.

جـ. دور السينما.

د. الصحافة ودور النشر.

هـ. الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٢- كثرة مصادر التلقي وضعف الرقابة: مما ادى الى تلاشي الحدود بين المجتمعات، حيث مهدت مرحلة الانفتاح التي انتشرت خلالها وسائل الاعلام والترفيه والتواصل الاجتماعي الى شيوع ثقافة جديدة كل الجدة، حتى لتكاد ترقى الى درجة الانقطاع عن الماضي، والتحلل من قيمه وتجاوز اعرافه، وانتشر كل ذلك انتشاراً واسعا، هز ثوابت هذه المجتمعات من الأعماق، حيث مهدت إلى مرحلة تلاشي الحدود الثقافية بين المجتمعات على مستوى العالم، فتداخلت الثقافات بكل ما تعني الكلمة. ثم جاءت التقنيات الحديثة، بثورتها الهائلة، على أرضية ممهدة؛ لتكمل الهجوم الساحق على مجتمعاتنا وقيمنا الإسلامية.

هذه الثورة الصناعية والتقنية الهائلة، ابتداءً من اختراع الحاسوب وانتشار المرئيات من خلال الأقراص المدمجة المحشوة بالأفلام الإباحية الساقطة، اضافة الى تقنية شبكة المعلومات العنكبوتية (الانترنت)، كل ذلك عمم هذه الثقافة الجديدة، والغى الحدود بين المجتمعات، فتلاشت معها سبل الفواصل، وسهلت التواصل بين المجتمعات وتبادل الثقافات بلا رقيب ولا حسيب، كما ساعد في انتشارها وتعميمها رخص ثمنها وامكانية الاطلاع عليها وعرضها في ظروف خاصة جداً. وهكذا اصبح بمقدور ابن القرية النائية الاطلاع على ثقافات الغرب والتأثر بها إذا ما تُرك دون رقيب.

٣- القوانين الأممية والأنظمة الدولية (وعولمتها): في ظل

الظروف التي ضعفت فيها الرقابة وانعدمت فاعليتها، تأتي حزمة من الأنظمة والقوانين، التي شرعتها الأمم المتحدة وأجبرت الحكومات عليها، بالترغيب والترهيب، حيث ارتضتها لشعوبها مجاملة للغرب والشرق. وما اتفاقية (سيداو) عنا ببعيد.

فلم يعد المعلم ذلك المربي، إذ انتزع منه دوره المقدس، بموجب قوانين التربية الحديثة، وأنظمتها التي استوردت من الغرب، لتُطبق في مجتمعاتنا من غير مراعاة للفوارق. فجاء بعضها تحت مفهوم الحداثة والمعاصرة، وبعضها الآخر تحت ضغط الحكومات الغربية؛ لتلبسنا ثوبها بالإجبار، مستغلة الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعانيها دول العالم الثالث، فربطت (الدول الغربية المتقدمة) معوناتها المزعومة، بل الموهومة أحياناً، بتغييرات فرضتها على استراتيجيات التعليم، أو قوانين الأحوال الشخصية وأنظمتها، التي تنظم العلاقة ما بين أفراد المجتمع، فتشكل شخصيته، وتبني هيكليته، وتبلور خصائصه؛ مما أخرج لنا مجتمعات مشوهة الهيكل، باهتة الشخصية، لا تكاد تميز لها سمات، ولا تقف لها على صفات.

أما الوالدان فقد غُيب دورهما في التربية والمراقبة والتوجيه، إذ تم تعطيله والاعتداء عليه بطريقة قانونية لا تُثير حفيظة أحد، إذ تلجأ الصهيونية العالمية الى حمل الأمم المتحدة على تهيئة المال اللازم للإنفاق على المؤتمرات التي تسن التشريعات المطلوبة والتي تخدم هذا الغرض، ثم تحمل الدول الأعضاء على تطبيقها على شعوبها، تحت طائلة الحرمان من القروض والمساعدات الدولية.

إنها معادلة ظالمة، صهيونية خبيثة، دول فقيرة، وشعوب تُساق

الى حتفها دون علمها، وبالتالي عقد المزيد من المؤتمرات العالمية تحت اسماء وعناوين براقة لتنطلي الخدعة على الشعوب، ولتسن المزيد من التشريعات التي تصب في هدف واحد، هو تدمير البقية الباقية من القيم والأخلاق، وذلك بتجميد مهمة الآباء والأمهات وتدمير الأسرة، وقد أمعنوا في ممارسة سحرهم وذلك بقلب الحقائق، وتسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، تدليساً على الشباب ليسهيل ابتلاع الجرعة، وتقبل ما يُزورونه من مبادئ وأفكار وممارسات غريبة عنا ودخيلة علينا: فالشاذون يسمونهم مثليين، والمومسات عاملات الكرم، والزاني يُسمى متعدد الشركاء جنسياً، وعرّفوا الأسرة على أنها مساكنة أي اثنين معا؛ فأي شخصين يسكنان معاً يشكلان أسرة ولو كانا من نفس الجنس "شاذين". وهكذا غيروا المفاهيم، ثم وضعوا لها القواعد والقوانين الدولية، فلم يبق للوالدين دور تحت وطأة هذه القوانين المنحرفة، واغتيال المجتمع الدولي بأكمله.

٤- تأخر سن الزواج: فمن المعلوم بالضرورة أن الزواج حصن للإنسان بشكل عام، وللمسلم بشكل خاص، من الوقوع في المنزلقات الأخلاقية والانحرافات ذات العلاقة بالجنس، فهو كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (**أغض للبصر وأحصن للفرج**)[1]. في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها مجتمعاتنا في العالم العربي والإسلامي، وتشبثنا ببعض العادات السيئة التي ترفع من تكلفة الزواج، وتصعب

---

(١) متفق عليه.

الأمر على أبنائنا وبناتنا؛ فتأخر سن الزواج، وارتفعت نسبة العنوسة، مما زاد من حاجة هؤلاء الشباب إلى تحصين وبناء رصين، ليتمكنوا من عبور هذه المرحلة الحساسة الطويلة من حياتهم «من البلوغ حتى الزواج»، وكلما طالت المرحلة في ظل الظروف التي ذُكرت آنفاً، احتاج الشباب إلى مزيد من القوة والعدة والعتاد لحمايته.

٥- الاطلاع المبكر على الأمور الجنسية: وذلك نتيجة حتمية للثورة التقنية غير المسبوقة التي نعيشها، وتعدد أوجهها ووسائلها، واتساعها بشكل يكاد معه استحالة السيطرة عليها؛ أصبحت مصادر التلقي والتلقين الهائلة هذه، تغزونا في عقر دارنا من كل حدب وصوب، دون أن نملك لها ردعا أو منعا، بل ولم يسلم منها كبير او صغير. فترى الطفل أقدر على التعامل مع وسائل التكنولوجيا الحديثة من أبيه «كالكمبيوتر، والانترنت، والهواتف الذكية»، وأكثر دراية بها، مما يُتيح له مزيدا من الإطلاع على الأفلام الإباحية التي تختزنها الشبكة العنكبوتية.

وبما أن شبكة المعلومات مفتوحة أمامه، بل وحتى برامج الأطفال في بعض المحطات والفضائيات، يبدأ بتلقي الكثير من الثقافة الجنسية التي يصل اليها من خلال «النت» أو تصل إليه «من خلال الفضائيات»، وبذلك تتفتح مداركه على المعرفة بالجنس وثقافته الخاصة مبكرا، مما يؤدي إلى التبكير في تحريك نوازع الشهوة وإيقاظ الغرائز الهاجعة لديه، بينما لم يتهيأ بعدُ لذلك فكريا وجسديا ونفسيا. فيولّد ذلك شرخا في شخصية الطفل وبنيته النفسية؛ لعدم التناغم الفطري بين نموه الجسمي والنفسي والعقلي، فيسبق بعض

هذه العناصر بعضها الآخر، ويتأخر بعضها عن بعض، فتفقد شخصيته توازنها، ولا تنشأ مترابطة ولا متسقة، مما يُنتج للمجتمع فرداً مشوه الشخصية، غير متناسق الأركان، وبالتالي سهل الانجراف في بيئة مجتمعية خصبة بمقومات الانحراف.

والأمر مع الأطفال أشد حساسية وأكثر أهمية، وابلغ صعوبة؛ اذ لا بد له – حتى يتجاوز كل ما يُحاك حوله من مؤامرات – من التربية الدقيقة الرفيقة الحاذقة، المستنيرة بهدي الله عز وجل.

فغدا من الضروري البداية مع الطفل في سن مبكرة، بالتوعية والتثقيف الجنسي؛ لتزويده بالمعلومات المناسبة. ونعني بالمناسبة: الصحيحة أولاً، والمتوافقة مع العمر ثانيا، ولا بد مع التبكير، مع تفعيل الميزان الدقيق، حتى نتمكن من أن نملأ ذهنه بالصحيح، قبل أن تملأه المصادر الأخرى بالخطأ، وبمحتوى يتناسب مع ديننا ومجتمعنا وعُرفنا، قبل أن تملأه المصادر الأخرى بمحتوىً مشوه، ونقدمه له بطريقة سليمة آمنة، قبل أن تُملأ بطريقة مشبوهة شوهاء.

كما أن النجاح بالتواصل مع الطفل في هذا الموضوع يُساعد على تدعيم جسور الثقة بيننا وبينه، فنكون نحن مرجعيته في هذه الأمور الحساسة؛ ليرجع بما قد يتلقاه من المصادر الأخرى إلى هذه المرجعية الموثوقة لتقييمه، فتصحح الخطأ، وتقوم المعوج، وتطرح الغث بعيدا. ثم تستمر هذه الاستراتيجية بنفس المنهج، حتى يجتاز مرحلة المراهقة، وقد أدرك حقيقة ما يدور حوله، وعرف مواطن الخطورة ومواضع الأمن، وأبصر طريقه على بصيرة واستقامة؛ فلا نخشى عليه بعد ذلك من المضللين والمنحرفين.

ضرورة ... أم ترف؟

كثيراً ما تنم تساؤلات أبنائنا في المدارس والكليات والجامعات والنوادي، عن جهل عميق في الأمور الجنسية وضوابطها الشرعية وعلاقتها بكمال العبادة! وهي مستغربة لأنها تستوضح عن بدهيات، أحرى بهم أن يعرفوها من صغرهم، ومقلقة لأنها بُنيت على معلومات خاطئة، استقيت من مصادر غير سليمة، ونتج عنها انعكاسات سلبية على حياتهم وأسرهم ومجتمعاتهم، الأمر الذي يستوجب تدارك الحال؛ لتلافي هذا الجهل من واقعنا كبارا وصغارا، وذلك بتثقيفهم بأسلوب تربوي هادف، ينسجم مع قيمنا الإسلامية ومبادئنا الأخلاقية وضوابطنا الشرعية.

وحيث أن إدراك المشكلة وتشخيصها بشكل واضح ومباشر هو نصف الحل، بينما تجاهلها يمكن أن يؤدي إلى تفاقمها بصورة لا يصلح معها أي حل عند اكتشافها في وقت متأخر؛ فإننا نحاول أن ندخل إلى صلب الموضوع من خلال هذا الفصل، ونسبر غوره لتحديد ما إذا كنا بحاجة فعلية إلى التثقيف الجنسي، أم أن المسألة لا تعدوا كونها اعتداء على أخلاقيات المجتمع، وتجاوز لحدود الأدب؟ كما تقضي به بعض موروثاتنا التقليدية، التي لا ترتكز إلى معتقد أو دين. ولن نقتفي في بحث الموضوع أثر المنهج الدارج باعتباره سراً، أو حراماً، لا يُسمح بمجرد الاقتراب منه، ولو لمعرفة ما إذا كانت هناك مشكلة أم لا؟

لقد اقتضت حكمة الله عز وجل في خلقه، أن وُضعت الغرائز في النفوس، وزُيِّنت الشهوات للناس، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[1] وفتنة الشهوات من أشد ما يخشاه رسولنا الكريم ﷺ على أمته حيث قال: **(ما تركت بعدي فتنةً هي أضر على الرجال من النساء)**[2]. ولعظم هذه الفتنة ضمن النبي ﷺ، الجنة لمن اتصف بالعفة فقال: **(من يضمن لي مابين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)**[3].

فإذا كان هذا البيان والتقرير، والمكافأة والتكريم، في الوضع العادي والطبيعي للإنسان، في مجتمع اسلامي محافظ ونظيف، فكيف سيكون التكريم وكم ستكون المكافأة مع تطور وسائل الإعلام والاتصال؟ وانفتاح المجتمعات الإسلامية على المجتمعات الأخرى؟ حيث زادت وسائل الإثارة والإغراء، ووُظِّفت التقنيات الحديثة في استثارة الغرائز وتأجيجها، إما بدافع الربح المادي، أو تنفيذا لمخططات أبناء صهيون التي ترمي إلى تدمير أخلاق الأمم والشعوب؛ ليسهل قيادها واستعبادها. وعليه، أفلا نكون بحاجة إلى تثقيف جنسي؟! أو ما يسمى بالتربية الجنسية؟!

---

(١) آل عمران ١٤.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

إن نظرة متمعنة لما يدور حولنا وفي مجتمعاتنا، تجعلنا نجزم أن الملتزمين ممن هم في سن المراهقة، يُعانون بصمت، من وطأة هذه المشاعر الجنسية!! ويتساءلون بحيرة أين هم من المباح والممنوع؟ ومن الحلال والحرام؟ ثم إذا بقي الحال على ما هو عليه، وترك هؤلاء الأبناء من غير دليل! فكيف سيتم إعدادهم لاستقبال هذه المرحلة الحساسة من حياتهم القادمة، بكل ما تحويه من متغيرات نفسية وجنسية وفسيولوجية؟ ... فالأم: محرجة من أن تحدّث ابنتها في هذه الأمور، حتى في ضوابط الدورة الشهرية! ويزداد حرجها مع الابن الذكر. والأب المنشغل دوما بأعماله، لا يلتفت لذلك. وهكذا بين الحرج والإهمال، تستمر المعاناة ويبقى الموضوع سرًا غامضًا، تتناقله ألسنة المراهقين همسا فيما بينهم، وهم يستشعرون الحرج، كأنهم يمارسون فعلا خاطئاً، يرتكبونه بعيدًا عن أعين الرقابة الأسرية!.

وفي عالم الأسرار والغموض، تنشأ الأفكار والممارسات الخاطئة، وتتضخم الرؤى، وتكبر الأوهام، وتنمو وتتشعب دون رقيب أو حسيب، حتى لتسمع احيانا أحدهم يهمس عن هذه الرؤى مع انفعالات نفسية لا ارادية، تراها من لغة جسده المنفعلة لا شعوريا! ثم تأتي الطامة، ويجد الشاب نفسه فجأة امام الزواج، ولم يتأهل بعد لهذا الموقف. وتزداد حيرته وقد أصبح في مواجهة حقيقية مع هذا الأمر، ويحتاج إلى ممارسة شرعية وواقعية وصحيحة.

هذا بالنسبة للشاب والفتاة الملتزمين العفيفين، حيث سيواجه

كل منهما الآخر بكل مخزونه من الأفكار والرؤى والأوهام والخجل والخوف والمفاهيم المغلوطة، ويظل الجهل هو القاسم المشترك بينهما، وكذلك عدم المصارحة بالرغبات والاحتياجات التي تحقق الإحصان، وفي الغالب الأعم من الحالات يُضاف لهذا المزيج، الخوف من الاستفسار عن المشكلة أو طلب المساعدة، وعدم طرق أبواب المكاشفة بما يجب أن يحدث ... وكيف يحدث ؟!

لقد أفضى هذا المزيج المعقد، إلى العديد من الحالات، لمراهقين أوقعهم جهلهم في الخطأ وأحياناً بالخطيئة. وأزواج يشكون من توتر العلاقة، أو العجز عن القيام بعلاقة كاملة، أو غير قادرين على إسعاد زوجاتهم ... وزوجات لا يملكن شجاعة البوح بمعاناتهن من عدم الإشباع لأن الزوج لا يعرف كيف يحققها لهن، وغالباً لا يُبالي ... ومع الأسف يُشارك المجتمع في تفاقم الأزمة بالصمت الرهيب، حيث لا تُقدم المناهج التعليمية - فضلاً عن وسائل الإعلام - أية مساهمة حقيقية في هذا الاتجاه، رغم كل الغثاء والفساد على شاشات الفضائيات، الذي لا يُقدم ثقافة بقدر ما يُقدم صورا خليعة وحركات تهيج غرائز الشباب الهاجعة.

ويزداد الأمر سوءاً حينما تظل المعاناة سرًا بين الزوجين، فتتلاقى أعينهما حائرة متسائلة، الزوجة لا تجرؤ على السؤال، والزوج - أيضًا - لا يجرؤ على طلب المساعدة، وهكذا تستمر الأزمة، وتكبر المعاناة يوما بعد يوم، مما قد يؤدي إلى الطلاق؛ من أجل مشكلة ربما لا يستغرق حلها نصف ساعة من أهل الخبرة والمعرفة. وربما تستمر الحياة حزينة

كئيبة، لا طعم لها ولا لون، إلا التوترات والمشاحنات والملل والشكوى التي ننتحل لها ألف سبب وسبب... بعيداً عن السبب الحقيقي.

هذه المشكلة العميقة التي تتوارى خلف أستار من الخجل والجهل، وتطل علينا كل حين بوجه قبيح من الكوارث الأسرية، لا شك أنها تحتاج إلى العلاج والإصلاح. ولا بد أن ننطلق في ذلك من رؤية علاجية خاصة بنا، تتناسب مع ديننا الحنيف وثقافتنا الإسلامية. وأن نبدأ بناء تجربتنا الخاصة رغم حقول الأشواك والألغام، وأن نطلب الحلول من أهل العلم دون تردد أو تكلف مصطنع. وهذا يحتاج إلى فتح باب للحوار على مختلف الأصعدة وبين كل المهتمين، نبراسنا السنـة، وسياجنا التقوى والجدية والعلم الرصين.

فلقد كانت حياة الإنسان – قبل عصر الفضائيات والانترنت وتدخلات الإنسان العابثة – تنمو وتتطور مع فطرته وفي ضوئها بشكل طبيعي، بدنياً وعقلياً ومعرفياً، وبتوازن تام وتناغُمٍ رائع وتناسُقٍ بديع. تكشف له فطرتُهُ عن مكنونات خلقهِ – حسب المرحلَةِ التي يَمرُّ بها يوما بعد يوم – كماً ونوعاً، لا يحتاج إلاّ إلى القليل من التَّوجيهات الخارجية؛ ليُتابع حياته بيسر وسُهولة دونما قلق أو حيرة أو خوف. وحينها كان كل من حوله – الأصدقاء والجيران والأقارب والأهل وكل من في الشارع – يُوجِّهُهُ التّوجيهَ السليم.

أما اليوم فقد تغير الحال، ففي السوق والشارع ووسيلة المواصلات والمكتب والجامعة، حتى في وسائل الإعلام والترفيه

المختلفة، أصبحت عين الشباب لا تقع إلا على ما يهيج العواطف، ويُثير الشهوات ويحرك الغرائز الكامنة: فمن القصة الهابطة، إلى الأغنية الماجنة، إلى الفلم الخليع، إلى الصورة الفاحشة. كل هذه يحركها شياطين الإنس وبشكل مستمر ليصوغوا لجيل اليوم تصوراته وثقافته ونظرته للأمور، وتنتهي من ذاكرته كل نوازع الخير. وأما شبكة الانترنت – التي اتسعت رقعة استخدامها حتى أصابت كل فرد – فتحفل بالمواقع الإباحية التي تختزن – حسب الإحصائيات العالمية المنشورة – مئتين وثمانين مليون صورة وفلم إباحي، حيث تعلن عن نفسها صباح مساء، وتتطوع حتى لغير طالبيها، وزيادة في تسويقها وتعميمها أصبح بالإمكان مشاهدتها على جهاز الهاتف النقال الذي لا يفارق الشباب ساعة من ليل أو نهار حيثما كانوا. تردفها من خلفها الفضائيات – التي انتشرت حتى لم تغادر بيتا إلا واحتلت منه ركناً – فتغص ببرامج الإباحة والسفور، وانحلال الأخلاق والتحلل من القيم...!!!

لقد عملت هذه الظروف مجتمعة، حتى لم يعد هناك من الضوابط ما يُحدد للإنسان المعلومات التي يحتاج إليها في كل مرحلة من مراحل حياته. فأصبح بمقدور الطفل أن يطلع على أدق التفاصيل، وأن يراقب الممارسات الجنسية بمنتهى الوضوح؛ فتتحرك غريزته وتستيقظ شهوته قبل أوانها، فتتولد لديه جوعة جنسية عارمة، يزداد سعارها يوما بعد يوم. وإذ تقدم له المعلومات بصورة شوهاء، لا تحمل بين طياتها غير الدمار، يندفع بكل قوته لإطفاء

لهيب جوعته ويدخل في سباق محموم. وتستمر وتتجدد المؤثرات فيستمر بالاندفاع نحو الرذيلة دون أن يشبع ... !! ويستمر السباق بحيث لا تهدأ غريزته، ولا يتوقف عن اللهاث وراء الشهوات ...!! والشيطان يقهقه بملء فيه.

كل هذا يدق ناقوس الخطر بمستقبل قاتم ... غامض ... لأبنائنا، إذا لم تتداركهم يد العناية الإلهية أولاً، ثُمَّ وعي الغيورين من المعنيين "المختصين والمربين وأولياء الأمور" واهتمامهم ... وتصديهم لما يُراد بهم. فمن أجل فلذات أكبادنا ... من أجل سلامة أجيال المستقبل ... من أجل مستقبل الأمة والوطن ... من أجل الحفاظ على الفطرة الإنسانية، التي فطر الله الناس عليها ... من أجل بقاء الحياء في عيون العذارى ... من أجل أخلاق الناس ... من أجل إنسانية الإنسان؛ حتى لا يمشي ميِّتاً يَدُبُّ على الأرض ... من أجل البشرية كافة ... لا بُد من العمل الجاد لنُحصِّن الجيل شباباً وأطفالاً، من السُّقوط في مستنقعات الرذيلة التي ينشرها المفسدون، الذين ينصبون شراكهم لشبابنا في كل مكان ....

لكل ما سبق؛ تتأكد لنا ضرورة التثقيف الجنسي السليم، المتفق مع شرعنا الحنيف، وأهميته البالغة. كي نُجنِّبَ ابناءنا من اليافعين والمراهقين والشّبابَ، ما يُحيكه لهم أعداءُ الإنسانيَّةِ الذين لا همّ لهم إلاّ جمع المال، عبر الاتجار بالغريزة الجنسية، وقوتها الضّاغطة على عواطف الصغار؛ لإفساد فِطرتهم وبالتالي سقوطهم في الرذيلة، وانحرافِهم عن الجادة. فإذا استطعنا تجنيبهم ذلك؛ نكونُ قد ساهمنا

في حمايةِ فلذات أكبادنا من الفساد والإفساد، وسلسلة الانحرافات المهلكة لهم، والمدمرة لمستقبل الوطن والأمة؛ بل والبشريّةُ جمعاء. فالأمر ليس ترفا، انما هو ضرورة أخلاقية واجتماعية وسلوكية ...!!

أما برامج التثقيف الجنسي المتدرجة الهادفة التي تصلح لبيئتنا الاسلامية ... وما تحتويه من معلومات ... ثم الفئات العُمُريَّة المُستهدَفة لكلٍ منها، وجهات الإشراف عليها وكيفية تنفيذها ... هذا الذي يجبُ أن نتميز به عن غيرنا، بحيث نستله من تعاليم ديننا الحنيف ونمرره من خلال الوسائل التربوية المعاصرة ... نبراسنا في ذلك السنـة المطهرة، وسياجنا تقوى الله عز وجل ثم الجدية والعلم الرصين ... حتى نحفظ ابناءنا ونحافظ على قيمنا ونخدم امتنا ونفوز بالأجر العميم.

لكل غيور عاقل ...!

عجباً لأمر أهل الباطل! يمارسون باطلهم بلا خجل! ويدعمون نشره وعولمته بلا كلل أو ملل! فيُسَخّرون الإعلام الفاسد لقلب الحقائق، وتزين المنكر، وإغراء الشباب بطرق مبتكرة، وإصطلاحات منحوتة بعناية فائقة، ما انزل الله بها من سلطان؛ لتزييف الوعي وتغيبه، ... بهدف إبعاد الشباب جيلا بعد جيل، عن المعاني الفطرية السامية التي جاءت بها كل الشرائع السماوية.

فها هم قد أشغلوا الشباب بهوس الرياضة ومتابعة أخبارها، وأغروهم بذلك حتى تجمع الشباب بالملايين في الملاعب لتشجيع المباريات .... وفي زحمة الحماس وهياج الشباب المفرط، وغوغائية الجمع الكبير، تراهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى، يتشوقون إلى الفرحة المكذوبة بالفوز الموهوم؛ بينما تمر الساعة تلو الساعة، وينادي للصلاة الفرض تلو الفرض ولا من مجيب ... !! وما الذي قد يقر عيون الأعداء من شبابنا المسلم أكثر من ترك الصلاة ونسيانها ؟؟!

كما خطط حكماء صهيون للشباب، حيث جاء في بروتوكلاتهم: "يجب أن نعملَ لتنهارَ الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا، إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه»، ويترجم ذلك اليهودي فرويد من خلال نظرياته فيقول: «إن الإنسان لا يحقق ذاته

بغير الإشباع الجنسي ... وكلُ قيدٍ من دينٍ أو أخلاقٍ أو تقاليدٍ هو قيدٌ باطلٌ، ومدمر لطاقة الإنسان، وهو كبتٌ غير مشروع».

فإذا سقط المجتمع بين إعلام مزيف، وولع عجيب بالمباريات الرياضية، وباقي الوقت للجنس والأفلام الإباحية التي وفرتها شبكة الإنترنت في كل مكان؛ فاقرأ على العمل الجاد والإنتاج السلام ...!!! وكأن أعداء الدين قد أدركوا أن سر قوة الأمم وتماسك المجتمعات وتقدم الشعوب في التمسك بالأخلاق الكريمة التي فطر الله الناس عليها، وشيوع القيم السامية، فركزوا على هدمها وتغييرها؛ ليسهل عليهم تنفيذ مخططاتهم. ولعلهم قد استنبطوا ذلك من حديث رسولنا العظيم عندما قال: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[1]. فمن تمسك بمكارمها فاز وتفوق، ومن تركها وتبع شياطين الأنس والجن تنكب الطريق وضل السبيل.

ومن مكر أعداء البشرية، ومخططاتهم الشيطانية، النفاذ إلى المجتمعات، وخصوصاً الإسلامية منها؛ لتغيير معتقداتها وتشويهها، من خلال مرض الأيدز، وبدعوى مكافحته، مستعملين عناوين براقة، تُظهر الإصلاح وتستبطن الخراب. ولا أدل على ذلك مما جاء في التصريح الاول لمدير برنامج مكافحة الأيدز في الأمم المتحدة السيد ميشال سيديبه حين قال: «يجب ان نعمل لنجعل من الايـدز فرصة سياسية نستطيع من خلالها إحداث تغيـرات رئيـسية

(١) صححه الحاكم على شرط مسلم، ورواه البخاري في الأدب المفرد.

في المجتمعات، لنستطيع حل بعض المسائل الشائكة مثل: إشاعة مسألة التثقيف الجنسي – طبعا على طريقتهم – وإعطاء مزيد من الحرية للشاذين جنسيا في العالم، ومزيد من حقوق الإنسان، وخاصة في مجال حقوق المرأة».

اما تثقيفهم الجنسي، فأمره عجيب بالنسبة لنا كمسلمين! وقد كتبوا برنامجهم وطبقوه في تنزانيا وبريطانيا. وادَّعُوا أنه كان مفيدا وفعّالا، ولهذا تُرجم هذا البرنامج الى اللغة العربية، وقُرروا ان يُطبق مستقبلا في اقليم الشرق الأوسط وشمال افريقيا «ليشمل كل الدول العربية». وقد استهدف برنامجهم للتثقيف الجنسي، المراحل العمرية المختلفة (٦ –١٣) سنة، واشتمل على ما يلي:

أ – المراحل السنية من (٦ –٩) سنوات:

الأهداف:

* تعريف بالأعضاء التناسلية ووظائف كل عضو. وشرح التغيرات المختلفة للجسد. وشرح الأمراض التناسلية وبخاصة الإيدز.

طريقة التدريس:

* تعرض المُدرّسة صورًا للأعضاء التناسلية للفتى والفتاة أمام الأطفال، ثم تسألهم عما رأوه، وتطلب من ولد وبنت خلع ملابسهم الداخلية.

ب – المراحل السنية من (١٠ –١٢) سنة:

الأهداف:

* التوعية بالجسد. وتعليم العلاقات الجنسية المبكرة.

طريقة التدريس:

- تأمر المُدرّسة التلاميذ بإغماض أعينهم، والتفكير في الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة.
- تكليف تلميذة برسم الأعضاء التناسلية للرجل، وتلميذ برسم الأعضاء التناسلية للمرأة، مع تمييز الأجزاء على الرسم.
- التعليق على الصور، ووصف الأعضاء التناسلية، ووضع صور مقارنة لصغار وصغيرات وبالغين وبالغات، وسؤال التلاميذ عن الاختلافات في بنية كل منهم.
- على المُدرّسة شرح معنى العلاقات الجنسية المبكرة ومقدماتها، ووصف ما ينتج عنها من حمل وانتقال للأمراض التناسلية وكيفية تجنبها، مع شرح معنى حمل القاصرات، والأمراض الجنسية وبخاصة الإيدز. ويتم هذا عن طريق:

* تعقد المُدرّسة حوارًا حول الأشياء التي تشارك في إثارة الأطفال جنسيًا، كيف يتم الإغواء الجنسي؟
* حوار مفتوح حول كيفية تجنب الحمل المبكر.
* حوار مفتوح حول الإيدز ووصف أعراضه، مع نصح التلاميذ في حال ظهور أحد هذه الأعراض بأمرين: الذهاب إلى أقرب

مستشفى، وأن يذكر بصدق هذه الأعراض لشريكه في العلاقة الجنسية....»

هذا جزء من برنامج التثقيف الجنسي الذي يسعون لعولمته، والمخفي في برامجهم أعظم، خاصة فيما يتعلق بتثقيفهم الجنسي والشذوذ والزواج المثلي ...!!! وهم يسعون بكل ما أوتوا من قوة؛ لتطبيق هذا البرنامج في الشرق الأوسط وشمال افريقيا. مما يجعل من موضوع التثقيف الجنسي بالضوابط الاسلامية أكثر الحاحا وضرورة. فإذا لم يهب المربون بكل جدية ومسؤولية لإنقاذ الجيل؛ فإن مستقبل الأمة في خطر عظيم.

الجنس والقضايا الجنسية في النصوص الشرعية

يتضمن المنهج الاسلامي تشريعاً شُمولياً، يُغطي مختلف نواحي الحياة، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1]. وهو تشريع واقعي «قابل للتطبيق على الأرض في كل زمان ومكان» وليس مُجرد نظريات مِثاليَّة. وعلى رأس مصادر هذا التشريع، القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد تطرَّق كلاهما إلى القضايا الجنسية في مختلف مراحلها، ومن زواياها المُتعددة، ابتداءً من أبسطها كالتمييز بين الذكر والأنثى، ومُيول كلٍ منهما إلى الآخر فطرياً، إلى الحمل والولادة وما يترتب على ذلك من مسؤوليات. ووضَّح العلاقات المشروعة وغير المشروعة، وعاقبةَ كلٍ منها. كما عرَّف بالعورات فبيَّن حدودها وعلى من تُكشف وعمن تُحجب، وشدَّد على حفظ الفرج وغض البصر وشرَّع لها ضوابطها، كما وضَّح مدى علاقة الصبيان بالبنات – حتى الإخوة في البيت الواحد – وأمر بالاستئذان حتى على الوالدين، وشرَّع له أحكامه، وحدد مُصطلحاتٍ فقهيَّة إسلامية لا بد من فهمها حتى تصح العبادة، رغم علاقتها بالجنس وأعضائه، مثل الجنابة والاحتلام والبلوغ والحيض... الخ.

تطرقت مصادر التشريع الإسلامي لكل هذه الموضوعات وبحثتها بدقة، ولكن في جو من الحشمة والاتزان، وبتعابير وصيغ

---

(١) الأنعام ٣٨.

تؤدي كامل المعنى بلا لبس، دون أن تشعر بالخجل من الحديث فيها بين الرجال والنساء على حدٍ سواء. بل ولا تخدش حياءً أو تجرح مسامعَ ولو في جمع من الناس!!! ونذكر هنا أن ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا الخصوص كثير جداً، لا يتسع المقام لسرده لكثرته، وهذه الكثرة دليل اهتمام الإسلام العظيم بالغريزة الجنسية، واعترافه بأثرها البالغ على الأفراد والمجتمعات. ولهذا بين كل شيء فوضح وفصل وأجمل، ونعرض تالياً بعضاً مما ورد في ذلك.

فهذه أم المؤمنين عائشة تقول: (**نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياء، أن يتفقهن في الدين**)[1] والسبب أنها كانت تأتي الواحدة منهن بقطعة القُطن، محملة بشيء من إفرازات المِهبل (مسحة مهبلية) لتتأكد من علامة الطُّهر من الحيض، كي تغتسل وتؤدي عبادتها وحق زوجها باطمئنانٍ ويقين؛ فكان ذلك بحقهن مَنقبَةً لا مَثلبَة.

وعَبَّرَ القرآن الكريم عن الاتصال بين الزوجين (الجماع) بالمسِّ حيناً، كما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] وبالملامسة أحياناً، حيث جاء في كتاب الله قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المجادلة ٣-٤.

ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾[1]

وبالتغشِّي في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2]. ولعل تعبير التغشي من أدق المعاني التي فصَّلت الكيفية والهيئة، فهذا التعبير يُصوِّرُ للسامع وكأن الزوج يأخذ وضع الغشاء (الغطاء) الذي يُغطي الزوجة ويَستُرها كما أن معنى العُلويَّة واضحٌ، لأن الغطاء لا يكون إلا من الأعلى، وكل ذلك في كلمةٍ واحدةٍ (تغشَّاها)، مُنَوِّهاً إلى المعاني والصُّور الجميلةِ والبُعدِ النَّفسي الراقي في الأمر، بعيداً عن تهيُّؤاتِ الشياطين وتصويراتهم.

بينما عبَّر عن العلاقات غيرِ المشروعَةِ بالزنا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾[3] وبالسِّفاح والمُخادنَةِ (اتخاذُ الأخدان) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ

---

(١) النساء ٤٣.

(٢) الأعراف ١٨٩.

(٣) الإسراء ٣٢.

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

كما أشارت التوجيهاتُ الإسلامية إلى الطّفل تُحجَبُ عنه مفاتن المرأة إذا ميَّزها بغض النظر عن سنه – لتبقى ذاكرته نظيفة – بينما يجوز إظهارها أمام الطفل الذي لم يميز بعد، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[2]. فإن بلغ العاشرة فُرِّق بينه وبين الآخر في المضاجع – وإن كانوا إخوة – كما وجه إلى ذلك رسول الله بقوله: **(مُرُوا أَوْلادَكُم بالصّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْع سِنينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنينَ، وَفَرّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)**[3]، إذ تبدأ عندها محرِّكات الشهوةِ بالاستجابةِ للمؤثِّرات الخارجيةِ، وتتحرَّكُ مُيولُهُ نحو الجنس الآخر! فإذا قويت محركات الشهوة لديه أُمر بغض البصر، وعدم متابعة النظر إلى مفاتن النساء إن ظهر منها شيء – فالأصل أن تَستُرَ المرأةُ كل مفاتنها عن الأجانِبِ

---

(١) المائدة ٥.

(٢) النور ٣١.

(٣) حديث حسن رواة الترمذي وأبو داوود.

– ليُحافظ عليه بعيداً عن غوايات الشيطان وتُسَدُّ عليه المداخل.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، عَنِ النّبِيّ ﷺ، قَالَ: **(إِيّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه مَا لَنَا بُدّ مِنْ مَجَالسنَا. نَتَحَدّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطّرِيقَ حَقّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقّهُ؟ قَالَ «غَضّ الْبَصَرِ، وَكَفّ الأَذَى، وَرَدّ السّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)**[1]. وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ، قال: **(ما من مُسلمٍ يَنظُرُ إلى محاسنِ امرأةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلا أحدَثَ اللهُ له عبادةً يَجدُ حلاوتَها)**[2]. وعن جَرِيرٍ قال: **(سَأَلْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ عن نَظَرَةِ الْفَجْأَةِ فقال: اصْرِفْ بَصَرَكَ)**[3].

فإذا بلغ مَبلَغَ الشباب أمَرَهُ بالزواج. وإن تعذر الأصل –وهو الزواج– للتعامل مع هذه الغريزة الطبيعية وتفريغها فيما خُلقت لأجله؛ وجَّهَهُ إلى الصوم ليعينهُ على غَضِّ البصرِ عن المُحرَّمات، وحِفظِ الفرجِ منها. فالرَسُولُ ﷺ يقول: **(يَا مَعْشَرَ الشّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصّوْمِ، فَإِنّهُ لَهُ وَجَاءٌ)**[4].

وسرد لنا القرآن الكريم قصصاً مثل قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، فصور لنا موقف الإغراء الذي تَعَرَّضَ له أدق

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣) أخرجه أبو داود.

(٤) متفق عليه.

تصوير، بأسلوب بياني رائع، مُحتشِم غير مُبْتَذَلْ، وإن كان الموقف نفسُه غاية في الابتذال ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[1]...! وحدثنا عن البتول التي وَلَدَت من غير زوج ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾[2] ولا علاقة مُحرمة ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[3]، فوصف الأمر على لسان الملك فقال: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4]!

أما السُّنةُ المطهَّرَةُ فقد ورد فيها العديدُ من المواقفِ على سبيل التَّشريع والتوجيه لبيان الأفضلية، وتوضيح كل ما يحتاجُهُ المُسلمُ حتى في علاقتِهِ مع زوجته. فوجَّهَ الراغبَ بالزواجِ إلى المُواصفاتِ المُفضَّلةِ في المرأة حتى في التفاصيل الدقيقة للمتعة والعاطفة: **(عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها، وأنتق أرحاما، وأسخن أقبالا «أي فروجاً» وأرضى باليسير من العمل «أي الجماع»)**[5]، وبين الحد «من مراحل الجماع» الذي يجب عنده الغسل، فعن عائشة قالت: قال رسول الله: **(إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ، فَقَدْ**

---

(١) يوسف ٢٣.

(٢) مريم ٢٠.

(٣) مريم ٢٠.

(٤) آل عمران ٤٧.

(٥) السيوطي وابن ماجة.

وَجَبَ الْغُسْلُ)[1]، ووضح أسلوب الجِماع الأمثل الذي يدخل المسرة إلى الطرفين – الزوجين – معاً وعلى أتم وجه (**... وليكن بينهما رسول ... القبلة والكلام)**[2]، (**... فلا يُعجلها حتى تقضي حاجتها ...)**[3]، (**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ)**[4].

وهكذا نجد أن الشريعة السّمحة اهتمت بالتربية الجنسية، واحتوت على الكثير من النصوص التي تعالج هذه القضية؛ حرصاً على سلامة الفرد النفسية والجسمية وعلى صحة عبادته وكمالها، ونظافة المجتمع، وحسنِ بُنيانِه، وانضباطِ قِيَمِهِ؛ لينتج عن ذلك كيانٌ متينٌ مرصوص، لا يتردى بتردي أفراد أو جماعات مهما كانوا. ولا يَهلك بِهلاك طائفةٍ وانحدار أخلاقها، ولا تختل مَوازينُه باختلال موازين أصحابِ الدّعواتِ الكاذبة الفتّاكة، البراقة في ظاهرها الخاوية من داخلها، المهلكة في حقيقتها، الساقطة في أهدافها وغاياتها. بل هو المجتمع الرصين ... المبني على المنهج الرباني ... الرائع ... الثابت ... ثبات الحق نفسه ...!!

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه الديلمي.

(٣) فيض القدير للمناوي بإسناد حسن.

(٤) صحيح مسلم.

يحسبونه حياءً... وما هو من الحياء في شيء!!

الحياء خُلقٌ مِن الأخلاق الرّفيعةِ المحمودة. تعارفت الأُمَمُ والشعوبُ والثقافات المُختلفة عليه. فهو من أساسيات الفطرة السليمة، ومقتضيات الذوق الرفيع، والقيم السامية. وقد ذكره الله في قرآنه العظيم: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[1]، ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[2]، وتكرر ذكره كثيرا في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام كما جاء في قوله: (**... دعه فإن الحياء من الإيمان**)[3]، وفي قوله: (**الحياء لا يأتي إلا بخير**)[4]، وقوله: (**... وما كانَ الحياءُ في شيءٍ إلاَّ زانهُ**)[5]، فالحياء من الإيمان وكله خير وزينة، لكنَّنا للأسف حرفّنا مفهومه الحقيقي الأصيل بممارساتنا اليومية. فإذا مَنَعَنا هذا الحياءُ المشوه من أداء واجب تجاه الخالق – كالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر– وتجاه الناس – كالموعظة الحسنة – فلا يمكن أن يُعَدُّ عندها حياءً ولا خُلقاً محموداً، لأن آثارَه وقتئذ تُصبح عكسية على الفرد والمُجتمع.

---

(١) القصص ٢٥.

(٢) الأحزاب ٥٣.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي.

إذاً ... الحياء خلق عظيم في دين الله ... فما هو المفهوم السليم لهذا الخلف السامي؟ وكيف نطبقه في حياتنا؟ ... يقول الحافظ ابن حجر: الحياء في اللغة تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشرع خُلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ... لهذا جاء في الحديث: **(الحياء خير كله)**[1]... ولكونه باعثاً على فعل الطاعة، وحاجزاً عن فعل المعصية، فلا يجوز أن يقال: رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير، لأن ذلك لا يتطابق مع المعنى الشرعي للحياء. أما القاضي عياض فيقول: إن المراد بالحياء في هذه الأحاديث ما يكون شرعياً، والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس شرعيا؛ بل هو عجز ومهانة.

وأول الحياء وأهمه هو الحياء من الله تبارك وتعالى، مصداقاً لقوله ﷺ: **(استحيوا من الله حق الحياء. قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبِلى، ومن أراد الأخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء)**[2]. فالحياء من الله هو الالتزام بأوامره سبحانه وتعالى، واجتناب نواهيه، وأن يخافه الإنسان في كل حركاته وسكناته، فهذا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

الحياء هو الأصل الأصيل لأي سلوك سوي، سواء بين الإنسان ونفسه، أو بينه وبين الناس. فإذا صح الحياء من الله تبارك وتعالى، فكل ما سينبثق عنه من مشاعر وسلوكيات مع الناس ستكون سوية سرعية؛ لأنها منبثقة عن أصل صحيح سوي ومحكومة له، فكل حياء نابع من هذا سيكون بحدود المعنى الشرعي للحياء، وما عدا ذلك فما هو من الحياء في شيء.

وخير نموذج للحياء السوي ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[1] فهذه فتاة مضطرة لمحادثة رجل غريب، فمن الطبيعي أن يعتريها الحياء، شأنها شأن أي فتاة سوية بفطرتها، تستحي عند لقاء الرجال ومحادثتهم. والحياء إلى هذا القدر وبهذه الحدود، محمود ومطلوب. أما أن يتجاوزه إلى درجة تمنعها من الخروج لتحقيق مصلحة واجبة، أو مندوب إليها، فهذا هو الحياء المرفوض المذموم، ولهذا جاءته الفتاة تمشي مشية هدوء ووقار، مشية العفيفة الطاهرة الفاضلة النظيفة «على استحياء»، في غير ما تبذل ولا تبرج ولا إغواء، جاءته لتبلغه دعوة أبيها بأوجز عبارة وأبلغ تعبير.

فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح، لا التلجلج والتعثر والارتباك. ولذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (**نعم النساء**

---

(١) القصص ٢٥.

نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[1]. فرغم أنها وصفت نساء الأنصار بالحياء، إلا أنه الحياء السوي الذي لم يمنعهن من عمل المطلوب ... الذي لا بد من لاكتمال تعبدهن والقيام بالواجب المشروع تجاه أزواجهن.

وخير من كتب في هذا المجال الدكتور أشرف نجم، فكان مما كتب: «عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ... فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ ... فقال النبي ﷺ: **(إذا رأت الماء... فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت: يا رسول الله ... أوَ تحتلم المرأة؟ ... قال: نعم ... تربت يمينك ... فبم يشبهها ولدها؟)**[2] ... وقد أورد البخاري هذا الحديث تحت باب «الحياء في العلم» وقال مجاهد: « لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر».

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار ... فقال الأنصار: لا يجب الغسل إلا من الدفق أو الماء ... وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل ... قال أبو موسى فانا أشفيكم من ذلك ... قال: فقمت فاستأذنت على عائشة رضي الله عنها ... فأُذن لي، فقلت لها: يا أماه –أو يا أم المؤمنين– إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك ... فقالت:

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

لا تستحيي أن تسألني عما كنت سائلاً أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك ... قلت: فما يوجب الغسل؟ ... قالت: على الخبير سقطت... قال رسول الله ﷺ: **(إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل)**[1].

إنه الحياء السوي ... الذي لا يمنع المؤمن من التعلم، حتى في أدق الأمور وأكثرها حرجاً، كالجنابة والجماع، والاحتلام والغسل... إنه الحياء السوي ... الذي يهذب سلوك المؤمن ... فلا يتبجح في فعل، ولا يفشي سراً من أسرار الزوجية، ولا يقترب من أي معيب في أمور الجنس أو غيرها.

إنه الحياء السوي ... الذي يهذب كلمات المؤمن، فتخلو من الفحش والتفحش، والعبث واللهو والتندر بما يتعلق بالجنس، فيثير الشهوة أو يزيح رداء الصون والعفاف ويعرض للابتذال. إنه الحياء السوي ... الذي يدفع المؤمن إلى أن يسلك النهج الصحيح في الحديث عن أمور الجنس ... نهجاً يتسم بالسمو في التعبير ... فيستعمل الكناية حين تغني عن الأصل، والإشارة حين تغني عن صريح العبارة، والتلميح حين يغني عن التصريح، والإجمال حين يغني عن التفصيل ... ولا يمنعه عن نوع من التصريح، أو شيءٍ من التفصيل إذا دعت الحاجة لكمال البيان، وتعميق الفهم. إنه الحياء السوي ... الذي لا يحول بين المؤمن – رجلاً كان أو امرأة –

---

(١) رواه مسلم.

وبين تعلم كل ما يصلح به دنياه وآخرته ... ومنها ما يتعلق بالتربية والثقافة الجنسية ... لأنه إن فعل ذلك ... فقد ابتعد عن المعنى الشرعي للحياء، وعندها يجب أن يسمى «خجلاً» ويكون مذموماً.

فالحياء خلق ايجابي ينتج تصرفاً بناءً، يعود خيره على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، إذ يردع عاصياً عن معصيته، أو يَكُفُّ ضالاً عن ضلالته، أو يَمنعُ رذيلة أن تتفشى، أو يَدفع إلى فضيلة من خصال الخير كي تنتشر، أو يُجلي لطيفة من لطائف الذوق الرفيع ... نعم هذا هو الحياء الذي يرفع صاحبه عالياً في الدنيا والآخرة. وهذا هو الحياء الذي يعنيه رسول الله ﷺ إذ وصفه أنه لا يأتي إلا بخير.

أمّا الشعور الذي يَكتنفُ الإنسان فيمنعه من قول كلمة حقٍّ... أو أداء واجب ... أو الدفاع عن عرض مسلم ... أو الذب عن الدين؛ فذلك الذي لا يُؤدي إلاّ إلى خسارة، ومن ثَمَّ انهزام للفضيلة في وجه الرذيلة ... فماذا يمكن أن نُسميه؟ هذا الشعور الذي يمنع المسلم أن يتفقه في دينه ويَعلم حقوقه وواجباته؟ ليَبقى جاهلاً يَعبدُ الله على جهل وضلال! أو يمنعُ الأب أن يُفقِّهَ ابنه فيما يحتاجُهُ من أمور دينه ودُنياه، ويُبعدهُ عن مواطن الشُّبُهات، ويقيه مَزالق الشياطين ... شياطينَ الإنسِ والجن؟! ويقف حائلاً أمام الأمِّ أن تُعرِّف ابنتها ما يعترضها أو ينتظرها في القادم من أيّامها بل أحيانا والحاضرِ منها، لتدبير شؤونها وشؤون بيتها، وزوجها، وأولادها؟! ويُثقل كاهل المُدرِّس عندما يُقبِلُ على توضيح معنى الجنابة وأحكامها لتلامذته وهم في سن المُراهقة؟! وينتاب الآباء وهم يتلون كتاب الله أمام

أبنائهم وبناتهم إذا مروا بكلمة النّكاح؟! فما لذي يمكن أن نقيِّم به هذا النوع من الحياء، أو أن نصفه به، في ضوء هدي المصطفى ﷺ؟!

ومن السُّنة النبوية والسيرة العطرة نُورد مثالاً، هذا الصحابي الذي جاء يسأل الرسول ﷺ، بحضرة السيدة عائشة، رضي الله عنهما، سُؤالاً في أمر من المؤكد أن أكثر الناس اليوم يخجل أن يبحثه بحضور زوجتِهِ أو ابنتهِ، وقد كان الصّحابة بعد وفاة الرسول يأتون عائشة يَستفتونها في الأمر ذاته فتُحدثهم الحديث: إِنّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهّ ﷺ، عَنِ الرّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمّ يُكْسِلُ، هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهّ، ﷺ: **(إِنّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمّ نَغْتَسِلُ)**[1].

فهذا رسولُ الله ﷺ، وهو المُعلم والمُربي الأكثر حياءً في البشر، يسأله رجل من عامةَ الصحابة – لم يَمنعه حياؤُه من التفقه في الدين ومعرفةِ المعلومة الصحيحة – وبجانبه زوجته الطاهرة لم يغضب أو يتهرب من الجواب... وما من أحد أحرص على الحياء من رسول الله ﷺ! ولا أكثر منه غيرة...!!

فماذا نُسمي هذا الشعور الذي ينتابنا لو تعرضنا لمثل هذا السؤال؟ وهل يَستحق أو يجوز أن نُسميه حياءً، ما دمنا قد خالفنا فيه فعل الرسول الكريم ﷺ...؟! وقد خرجنا عن المعنى الشرعي للحياء ...!! إذن فصاحب هذا الشعور منا وقع في المحذور، وهو

---

(١) رواه مسلم.

يحسب أنه يحسن صنعاً ...!! فما أسهل أن يهزم أمام الشيطان ... وأمام المُفسدين ... وأمام أصحاب الدعوات الهدامة ... مهزوم في تربية الأبناء، وتنشئة جيل المُستقبل!! فإنك إن خجِلتَ أن تتحدث مع ولدك وتُعلِّمه ما يجب أن يعرفه بالطريق الصحيح ... والأسلوب السليم ... في جو من الحشمة والجدية؛ فهناك الكثير ممن سيحدثونه بما يحتاج ... وما لا يحتاج ... بطريق مِعوجٍّ ... وأسلوبٍ دخيلٍ ... في جو من الغواية ... والإغراء ... والفساد! «؛ فتنهزِمُ بسبب هذا الشعور السلبي، وتخسر المعركة، وينحاز ابنك طائعاً إلى الفريق الآخر، غارقاً في ملذاته، مهدداً بالأمراض الجنسية أو مُدمنا على العادة السرية... وأنت ترى ذلك ولا حول لك ولا طول، لا تملك إلا عض أصابع النّدم... ولات حين مندم.

أما آن لنا أن نصحح الموروثات الاجتماعية الخاطئة في هذا المجال الحساس، هذه المفاهيم التي نظنها حياءً وما هي من الحياء في شيء! لنتحرر منها ونبحر بالفهم الشرعي الصحيح مع أبنائنا إلى شاطئ السلامة، بحيث لا يمنعنا الخجل من الحديث مع أقرب الناس إلينا (الأبناء) عن الأمور الجنسية التي يحتاجون إليها، حسب مراحلهم العمرية التي يمرون بها، كي نُحول هذا الخجل المهزوم إلى حياء مُنتصر ... بنّاء ... نافع للفرد ... والمجتمع ... والأمة ... والإنسانية كلها بإذن الله؟! دونما تخلٍ عن حيائنا، ومكانته العالية في أخلاقنا، وقيمته الغالية في مجتمعاتنا! إذ أننا بذلك نَخدم الدين ولا نهدمه.... ونحفظ فلذات أكبادنا من المعلومات الخاطئة...

ونُساعدهم على تشكيل تصور سليم وصحيح يقودهم إلى حياة أسرية كريمة لا تعرف إلا السعادة والبناء.

على أن هناك مجالين لهما علاقة بالأمور الجنسية، يفرض الحياء السوي الصمت الكامل فيهما، المجال الأول: هو مجال أسرار المباشرة الزوجية، فهذا أمر خاص جداً لايجوز الحديث فيه بأي حال من الأحوال إلاّ بين الزوجين، والمجال الثاني: هو مجال العبث واللهو والتسلي والوصف والتندر بأمور تتعلق بالمتعة الجنسية، مما يُزيح عنها رداء الصون والعفاف ويعرضها للابتذال، هذا فضلاً عما قد يثيره من الشهوة، لا سيما عند الآخرين.

وقد نهى رسولنا الكريم عن ذلك نهياً قاطعاً حيث جاء في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(صلى بنا رسول الله ﷺ، فلمّا سلّم أقبلَ علينا بوجهِه فقال: مجالِسَكم، هل منكم الرجلُ إذا أتى أهلهُ أغلقَ بابَهُ وأرخى سِتْرهُ ثُمّ يَخْرُجُ فيُحدِّثُ فيقولُ: فعلتُ بأهلي كذا وفعلتُ بأهلي كذا؟ فسكتوا. فأقبلَ على النساء فقال: هل منكن من تُحدِّث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها، فقالت: إي والله إنَّهم يَتحدثون وانَّهُنَّ ليتحدثْن. فقال، عليه السلام: هل تدرون ما مَثَلُ من فعل ذلك؟ إنَّ مثل من فعلَ ذلك مثلُ شيطانٍ وشيطانة لقي أحدُهُما صاحبَهُ بالسِّكة فقضى حاجتَه منها والناس ينظرون)**[1].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

فأطهر الخلق وأفضلهم، رسول البشرية عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم، أشار إلى العملية الجنسية الحميمة بين الزوج وزوجته، أمام الرجال والنساء والأطفال، في الحرم النبوي الشريف بمنتهى الوضوح والصراحة، ليعلمنا أمور ديننا، فنثبت على الحلال ونترك الحرام. ونحن متبعون في ذلك لا مبتدعون، ومعلمنا وقدوتنا رسول رب العالمين.

كيف نثقف أبناءنا جنسياً؟

أقبل ابن الخامسة على أمه متسائلاً: من أين أتيت أنا؟ فاحتارت الأم للحظة ثم قالت: أنا وأبوك أتينا بحبة تمر ووضعناها تحت السجادة – وأشارت إليها في الغرفة – ثم كبُرت التمرة شيئا فشيئا حتى صارت أنت! فتقبل الطفل الإجابة على أنها حقيقة مسلم بها دونما أدنى نقاش، لأن الأم لا تكذب! ومضت الأيام ... ونسيت الأم الأمر كليا. وبعد عدة أشهر، وبينما كانت الأم تنظف البيت والطفل يلعب قريبا منها، رفعت الأم السجادة لتجد تحتها حبات من التمر، وقد تجمّع عليها بعض النمل الصغير. فهرع الطفل إلى أمه – وقد هاله منظر والدته تضرب التمرات لتقتل النمل المتجمع عليها – يصيح ويبكي بأعلى صوته قائلاً: اتركيهم هؤلاء أولادي، أولادي! قصة حقيقية أشبه بالنكتة، لكنها تنطوي على مخاطر تربوية جسيمة، لما سببته من ألم للطفل! وانحراف في تصوره حول خَلْق الانسان وتكاثره! وما سينتج عن ذلك من تشوه في علاقة الطفل مع أمه، ونظرته لمصداقيتها في إجابتها عن أسئلته بعد ذلك. نورد هذه القصة بين يدي هذا الفصل لما تحمله في طياتها من تأكيد على أهمية موضوع التربية الجنسية، وكيفية التعاطي معه في تربيتنا لأبنائنا.

ما هو التثقيف الجنسي؟

«إنه عملية تزويد الأبناء بشكل متدرج، بكل ما يحتاجونه من معلومات صحيحة حول الأجهزة التناسلية في أجسامهم،

وتطوراتها، وتأثيراتها عليهم جسمياً، وفكرياً، ونفسياً، وعاطفياً، في جوٍّ من الجَديّة والاحتشام حسبما تُمليهِ علينا قِيَمُنا الدينيّة والاجتماعيّة، لكمال عبادتهم وتصورهم للحياة، نبراسنا في ذلك السنـة الشريفة وسياجنا التقوى والعلم الرصين، مع مراعاة قدرات الأبناء على استيعاب الجُرعات التي تتناسب ومراحلهم العمرية».

كيف نخاطب أبناءنا؟

عندما نتحدث مع أبنائنا في موضوعٍ حساسٍ مثل الجنس، لا بد أن يكون للحديث طابَعٌ خاصٌ. ولا بُدَّ من مراعاة أمورٍ كثيرةٍ، لأنه حديثٌ هام وحساس. ويجب أن يأخذ نصيبه الذي يستحق من الاهتمام ... والجدية ... والانفتاح. ونحن المسلمين، لا بد من أن ننطلق من عقيدتنا، وتصورنا الإسلامي، عندما نطرق هذا الموضوع. ونتوغل به مع أبنائنا برفق، مُستعملين الاصطلاحات الفقهية، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. لأن فهمها من قبلهم من تمام تعبدهم... إذ كيف تجوز صلاة المراهق الجُنُبِ وهو لا يعرف معنى الجنابة...!!

ونهدف من وراء ذلك إلى الأمور التالية:

١- بناءُ فهمٍ ديني مُتدرج، تَصحُّ وتكتمل معه العبادة.

٢- المحافظة على التّصور الإسلامي الصحيح لوجودنا في هذه الحياة.

٣- تجنيبُ الأبناءِ الفهم الخاطئ للجنس، وما يترتب عليه من آفات.

٤- حماية المُجتمع من الانفلات، والمُحافظة على الأخلاق العامة.

٥- حماية الشّباب من الأمراض النّفسية والجنسية المختلفة.

ولهذا ننصح المربين من الآباء والأمهات والمعلمين مراعاة القواعد التالية:

البداية المبكرة:

لا يُنصح بتأخير البداية في التثقيف الجنسي حتى دخول الطفل مرحلة المُراهقة بحجة صغر السن، لأن الطفل إذا بلغ سِنَّ المُراهقة مال إلى الاعتماد على الأصدقاء، ووسائط المعلومات التكنولوجية غير المأمونة، والأشخاص الآخرين أكثرَ من اعتماده على الأبوين. فإذا لم تكن جُسور الثقة والانفتاح للحديث في مثل هذا الموضوع قد ترسخت بعد، فهذا يعني أن احتمالية الانفلات كبيرة. يقول العلماء: إننا نحصد سلوكاً من أبنائنا في سن المراهقة، هو انعكاس لما زرعناه فيهم في السنوات الست الأولى من حياتهم. صحيح أن الطفل لا يفهم كل ما يدور حوله، ولكنه يرى ما يدور ويستطيع تخزين كل ذلك عنده في اللاوعي، ثم تتداعى هذه الصور والمشاهد في سني المراهقة لتتحول إلى تصرفات وسلوكيات، إن خيراً فخير وإن شراً فشر...

فكم عض الآباء أصابع الندم عندما كانوا يمارسون الجنس الحلال أمام أبنائهم الصغار ... فوقع المحذور، حيث قلّدهم هؤلاء مع أخواتهم عندما كبروا، بسبب ما انقدح في أذهانهم بأن كل ما يفعله الآباء هو صحيح ومباح، ففي نظرهم يمكن فعله مع الشقيقات! وقد أظهرت دراسة سابقة في بيوت الأحداث، أن ثمانين

بالمائة من هؤلاء الأحداث، كانوا يرون ما يفعل آباؤهم جنسيا، فقلدوهم لاحقا. ولذلك لا بد للوالدين من مراعاة التعليمات الإسلامية أمام الأطفال مهما صغر سنهم، كعدم ممارسة الجنس في نفس الغرفة، والتفريق بين الإخوة في المضاجع ...الخ

اعتماد أسلوب الحوار:

إن أسلوب التلقين وإصدار الأوامر والتّعليمات، الذي يعتمدُه الكثيرون مع أبنائهم لا يُعطيهم الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهم، وبالتالي يَتَعذّر على الوالدين أن يعرفا كمية المعلومات التي تلقاها الابن، ومقدار ما استوعبَهُ منها، ومدى قناعته بما تلقى، وبالتالي مدى الالتزام المُتوقّع ومدى الفائدة التي تحصلت لديه. علاوة على قياس مدى الحاجة إلى أساليب أخرى مدعّمة، غير الحوار والحديث المباشر – مقالة أو بحثاً أو كتاباً منضبطاً – أو ضرورة الاستعانة بآخرين من ذوي الخبرة والاختصاص.

ويجدر بالذكر هنا أن المُشاهدة المُشتركة لبعض البرامج التعليمية حول مواضيع ذات علاقةٍ بالأمور الجنسية مناسب جداً لبدء نقاش صريح في الموضوع. أو مطالعة فردية، يتبعها نقاش لبعض القصص المؤلفة خصيصا لهذا الغرض "سلسلة لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة"، وهي من مطبوعات مشروع وقاية الشباب؛ لتثبيت مفاهيم إسلامية في الثقافة والتربية الجنسية عند الأطفال.

لا تكن مشدود الأعصاب:

خُذ الأمر بأريَحِيّة وابدأ الموضوع بشكلٍ طبيعي. لا تَرتَبِك أو تتردّد. وتذكّر أنّك إن لم تتحدث معهُ بالموضوع فإنّ غيرك – دون شك – سوف يفعل. ولا تدري كيف سيفعل!؟ وماذا سوف يُقدم من معلومات؟ كثُرت أم قلت؟! أصابت أم أخطأت؟! أفادت أم أضرت؟! فمن الخير لك ولولدك أن تُبادر أنت. ولسنا ننكر صُعوبةَ البداية ولستَ وحدك المُحرج من ذلك، فرغم الانفلات الجنسي في الغرب، والانفتاح المحموم، إلا أن الدراسات كشفت أن غالبية الآباء هناك ما زالوا يجدون صُعوبة في الحديث مع أبنائهم بالأمور ذات العلاقة بالتثقيف الجنسي! فكيف في المجتمع المحافظ؟ فهذا أمرٌ طبيعي، ولكن لا بد من أن نتغلب عليه.

كن منفتحاً:

اجعل طفلك يشعر أن صدرك مفتوح لأسئلته في أي وقت وحول أي موضوع. وبذلك لن يَغيب عنك ولن تغيب أنت عنه، وسوف يجدك حيثما احتاجك مما لا يترك مجالاً للعابثين، فيُفسدوا عليك ولدك.

الخطاب بالقدوة والثقة:

أثبتت الدراسات – وأكدها المنطق قبل ذلك – أن الأبناء يُريدون – بل ويحتاجون – القُدوة من آبائهم وأمهاتهم. انطلق

لابنك من مبادئك التي تلتزم بها أنت شخصياً. لا تتلعثم في الحديث عندما تُبين مبادئك ومُعتقداتك لهم؛ فالتردد والتلعثم يَنُمُّ عن عدم ثبات المبادئ لدى المُتحدث؛ ممّا يؤثر سلباً على مدى قناعة المخاطب بها وتقبله لها. فلا يعقل مثلاً أن أنهى ابني عن التدخين وأنا مدخن!

اهتمام غير مقطوع:

لا تسمح لأي شيء أن يقطع اهتمامك بولدك، أو يُقاطع حديثك معه عندما تُباشر بحث هذا الأمر. لا بُد أن تُشعره أنّه هو محِورَ اهتمامك. أعطه الوقت الكافي والاهتمام المتصل دائما وليس بالمناسبات. فكم من أب انشغل عن اولاده بالعمل وجمع المال، ثم جاءت لحظة عاف فيها كل الذي جمع بسبب ضياع أولاده. وكم من أم عضت أصابع الندم ولكن في وقت متأخر.

كُن أميناً:

قدم له معلوماتٍ صحيحة وكافية وواضحة تماماً حسب مرحلتِه العُمُرية. لا تُسلِّمه للغُموض أبداً، ولا تترك فجوات كبيرة في المعلومَات التي تُزوّده بها.

تحلَّ بالصبر:

عند الحوار مع ابنك قد تنتابه لحظات من التَّردد، أو الحيرة في إكمال عباراته وانتقاء مُفرداتِهِ. عندها سيتولد لديك الدافع لمساعدتِه

وإكمال جمله، قاوم هذا الدافع، واتركه يُفكِّر ويُعبِّر عن نفسهِ بطريقتِهِ الخاصّة؛ لأن ذلك سيُساعدك على معرفة ما يدور في خلده، وبالتالي اختيار الإجابة المُناسبة لفهمه.

اغتنم الفرص:

ستجد العديد من الفرص اليومية للحديث معه في هذا الموضوع، اغتنمها أينما كانت ومتى ظفرت بها ... في السوق ... في السيارة ... عند مشاهدة التلفاز ... !! أو عند مشاهدة بعض الحيوانات في الحديقة، أو عند قراءة القرآنِ الكريم الجماعيّة وتفسير بعض الآيات...!! فمثلا: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]. هذه ومثلها من الآيات الكريمة، لو كانت وظيفة أسبوعية للأبناء، ليفسروها، ويعرفوا من كتب التفسير معنى بعض الكلمات. ثم تناقش الأم ابنتها والأب ابنه في ذلك لتوضيح

(١) مريم ٢٠.
(٢) النور ٥٨.

المزيد... فإن ذلك سيساعد تدريجيا في بناء فهم ديني، فيه قدر كبير من الوضوح والثقافة، بل التربية الجنسية من مصادرها الصحيحة.

لا تستسلم:

كرر الحديث حول الموضوع المرة تلو المرة. لا تيأس أو تستسلم للملل، إنه فلذة كبدك ... إنه يستحق منك كل الاهتمام ... وكل الوقت ... وكل الجُهد. تذكر أنه صيد ثمين للشياطين وسيسعدون بإهمالك له وعدم اهتمامك به.... وتذكر أنه يستحق منك كل ذلك.... !!

أدعُ لهم بالسر والعلن:

لا شك في أهمية دعاء الوالدين للأولاد، ومحاورتهم – ذكوراً وإناثاً – بطريقة لبقة في الجلسات العادية. مما يُشعرهم بمزيد من الاهتمام والمتابعة غير المباشرة، لمعرفة أي خلل من بدايته، والله خير الحافظين.

علّمهم العادات الحسنة منذ الصغر:

تعليم الأبناء منذ الصغر، وتعويدهم أن لا يخرجوا من بيوتهم إلاّ متوضئين، مع متابعتهم بالأدعية المأثورة لليوم والليلة، وتذكيرهم بترديدها في أوقاتها. ومساعدتهم للالتحاق بمراكز الفضيلة والمدارس المنتقاه، لأن هذا يساعدهم على الصحبة الصالحة.

الثقافة والتثقيف الجنسي

تعريف الثقافة الجنسية:

لغة: ثُقُف بالشيء: صار حاذقا فطنا مهذبا سريع البديهة فيه.

اصطلاحا: «هي المحصلة الطبيعية لتمازج مجمل المعارف والافكار والتصورات والعلوم الناتجة عن القراءة الواعية المستمرة، والمُثل والتقاليد والأعراف والعادات والمهارات، وأساليب الحياة الخاصة والعامة المنبثقة من النظرة الشمولية للحياة، ذات النزعة الربانية التي تجمع بين العلم والايمان، بكل ما له علاقة بالغريزة الجنسية، والممارسات المنبثقة عنها، وتداخلاتها النفسية والجسمية والاجتماعية المختلفة، وأثرها الإيجابي في ضبط السلوك الفردي والجماعي بما يرضي الله تبارك وتعالى».

تعتبر الثقافة الجنسية، في أحد جوانبها، جزءاً من الثقافة العامة، والمهمة في ذات الوقت بالنسبة للشباب من الجنسين. وهي ترتبط بالثقافة الاجتماعية السائدة، والقيم الفكرية والتربوية والدينية في المجتمع؛ ومن ثم تختلف طريقة التثقيف الجنسي، وكذا طريقة تناولها من مجتمع لآخر حسب هذه المؤثرات.

وقد مرت الثقافة الجنسية بمراحل وتطورات عديدة، وفقاً لتركيبة المجتمع وظروفه وثقافته. ولا تزال النظرة إلى هذا الموضوع مشوهة، ومجانبة للصواب في أكثر مجتمعاتنا الاسلامية. كما أنها تحوي كثيرًا من الخرافات والمعلومات الخاطئة، التي تساهم بشكل

مباشر، أو غير مباشر، في عدد من الاضطرابات الجنسية والنفسية والاجتماعية لدى الشباب.

ويعتقد البعض أن الثقافة الجنسية تتعارض مع الدين، أو أنها تشجع الإباحية والتفلت الأخلاقي. وهذا بالطبع غير صحيح على إطلاقه. فقد كان الرسول ﷺ يعلم الصحابة كيف يختارون أزواجهم، وكيف يتعاملون مع نسائهم، بل كيف يأتون أهليهم أيضاً، وماذا يقولون عند الجماع. والفقه الإسلامي يتناول القضايا الجنسية بصراحة ووضوح، وبشكل منطقي وعملي وأخلاقي وتربوي في آن واحد.

والثقافة الجنسية في حد ذاتها أمر لا بد منه؛ لأنه يتعلق بأمر فطري وبحاجة عضوية ونفسية ملحة. والإنسان إذا ما وصل إلى مرحلة عمرية معينة سيبدأ يبحث فيه، سواء علم من معه أو لم يعلموا. ولكن الذي ينبغي أن يقال هو أن مسؤولية المجتمع، بداية من الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ككل، هي في إيصال تلك الثقافة الهامة والخطيرة والحساسة في الوقت نفسه، بطريقة مدروسة ومرتبة، يراعى فيها حال الشاب أو الشابة، بحيث يتدرج فيها تدرجا يسمح له بالمعرفة والإدراك، مع الحفاظ عليه من التشتت والانحراف.

وديننا الحنيف يسمح بالثقافة الجنسية، ويعرضها في أنقى ثوب وأطهره. وهي مبثوثة في كتب العلم، وأبواب الفقه، والتي كان يتعلمها أبناء المسلمين في سن مبكرة جدا... لكن يُلاحظ في

كتب أهل العلم، ما يُلاحظ في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، من محافظة على الألفاظ، والتلميح دون التصريح قدر الطاقة. واستعمال عبارات غاية في الأدب، ومؤدية للغرض في نفس الوقت، من مثل "أو لامستم النساء"، "فأتوا حرثكم " "وقدموا لأنفسكم"... إلى آخر هذه العبارات المغلفة بغلاف الأدب والوقار.

تعريف التثقيف الجنسي:

يمكن تعريف التثقيف الجنسي بانه عملية تزويد الأبناء بشكل متدرج، بكل ما يحتاجونه من معلومات صحيحة حول الأجهزة التناسلية في أجسامهم، وتطوراتها، وتأثيراتها عليهم جسمياً، وفكرياً ونفسياً، وعاطفياً، في جوٍّ من الجَديّة والاحتشام حسبما تُمليهِ علينا قِيَمُنا الدينيّة والاجتماعيّة، لكمال عبادتهم وتصورهم للحياة، نبراسنا في ذلك السنـة الشريفة وسياجنا التقوى والعلم الرصين، مع مراعاة قدرات الأبناء على استيعاب الجُرعات التي تتناسب ومراحلهم العمرية".

ويحلو للبعض أن يسمي هذه العملية "التربية الجنسية" بدلاً من "التثقيف الجنسي"، والأمر عمليا ربما يكون سيان، رغم أن التربية الجنسية توحي بأنها عملية تربوية تمتد لفترة طويلة لتشمل جميع المراحل الأولى من عمر الإنسان، وهذا ظلال صحيح للاصطلاح أصاب كبد الحقيقة.

تعريف التربية الجنسية:

تعرَّف بأنها عملية الدفع التدريجي الممنهج للأبناء؛ لتشكيل موقف ذاتي من الجنس، وتداخلاته في حياتهم، من خلال المعلومة الصحيحة ووسائل اكتسابها، بإطارها القيمي والأخلاقي، والتعزيز العلمي المتدرج للجوانب الإيجابية المتعلقة بالجنس، من خلال المراقبة والمتابعة والنموذج القدوة ضمن الضوابط الشرعية.

وهذه العملية ليست أمراً سهلاً، ولا بسيطاً كما يظن بعضنا، فلا يمكن أن يتم عن طريق برنامج تلفزيوني أو توزيع منشور، ولكنه أمر مستمر يتداخل مع كل مراحل حياة الانسان، ليتعود سلوكيات تلقائية في كل حركاته وسكناته.

والتثقيف الجنسي الجاد، يعتمد على مجموعة من الخبرات العلمية والدينية، المصممة بعناية وتوازن؛ لتسهيل التبني الطوعي لمهارات، تنعكس على سلوكيات تلقائية دون تكلف أو تصنع، دافعها الاساس تقوى الله ومخافته، وسياجها العام السنة المطهرة. والمعرفة وحدها لا تكفي، إذ لا بد أن تمتزج بالجدية والنزعة الحقيقية للتطبيق العملي، فكم من إنسان يعرف أن الزنا حرام ثم يقترفه !!! وكم من طبيب يعرف أن التدخين ضار بالصحة، ومع هذا يُدخن!!.

وهذا التثقيف الجنسي، لا يقتصر على عمر محدد، أو مكان معين، أو شخص بعينه، بل لكل واحد دور لا بد منه، فدور الأم في البيت مكمل لدور المعلمة في المدرسة، وكذلك الأب والمعلم وهكذا، وأياً كان المُثقف، لا بد له من مراعاة بعض النقاط المهمة ومنها:

أولا: إنما يتحدث في مثل هذه الأمور مع من يحتاجها، فقبل وصول الابن ذكراً كان أو أنثى لسن التمييز، لا قيمة للكلام معه في الأمور المباشرة، إلا إذا سأل.

ثانيا: عرض هذه المسائل لكل إنسان بحسب حالته واحتياجه، فليس من يبدأ سن المراهقة مثلا، كمن هو مقبل على الزواج.

ثالثا: تقديم جرعات مناسبة للأبناء، تتناسب مع أعمارهم واحتياجاتهم ومن خلال مؤسسة الأسرة والمدرسة؛ حتى لا يكون الأمر مفاجأة عندما يشب الابن أو البنت. وهذه المرحلية في التثقيف مناسبة، حتى يجد الابن ردوداً على تساؤلاته المتعلقة بهذا الأمر. وإلا سيطلبها من مصادر غير آمنة أو من خلال طرق غير مشروعة. فكأن تقديم هذا النوع من المعلومات، بهذه الصورة الممرحلة، هو في الحقيقة جرعات مناعة، وحماية للأبناء من خطوات الشياطين، ومن إغواء المارقين.

رابعا: التمسك بأدب القرآن والسنة في الكلام في هذه الأمور قدر الطاقة، يوصل للغاية المطلوبة، بأكثر الطرق أدبا وتهذيبا؛ فيتعلم الإنسان الجنس والأدب معاً. وما زال الحياء شعبة من الإيمان إلى أن تقوم الساعة.

خامسا: الحذر من أن يكون هذا الموضوع هو كل همّ الإنسان ومحور تفكيره، فالإفراط في مثل هذا له أضرار كثيرة، ربما تخرج بصاحبها عن حد الاعتدال، بل ربما تجره إلى البحث في مواطن، الداخلُ فيها مفقود والخارج منها مولود. ومن سلم له دينه، فقد

أحسن الله به صنعا وأراد به خيرا. وإلا فما أكثر الهالكين فيها والضائعين، وكثير منهم إنما دخلها أول مرة إما خطأً، وإما على سبيل التثقيف، وأحيانا من باب الفضول. فكانت العاقبة خسراً، وصار الواحد منهم أو الواحدة كمثل الذبابة التي قالت: «من يدلني على العسل وله درهم، فلما وقعت فيه قالت من يخرجني منه وله أربعة دراهم».

سادسا: نقد النموذج الغربي في الثقافة الجنسية، من خلال دوافعه، وأدواته، وصلته بالفلسفة الغربية ونظرتها للإنسان.

سابعا: التعريف بالغريزة، والحكمة منها ووظائفها، والمنهج الشرعي في التعامل معها.

ثامنا: تزويد المتدربين بالعلم الشرعي الكافي حول البلوغ، وأحكام العبادات المتصلة بقضايا الإنزال والمعاشرة، كالطهارة، والصيام، ونحو ذلك.

تاسعا: تعريف المتزوجين بمسائل الحلال والحرام المتصلة بالاستمتاع بين الزوجين.

عاشرا: تنمية التقوى والإرادة والعزيمة، التي تعين على مواجهة المثيرات والمغريات.

حادي عشر: تعظيم قيم العفة وإعلاء شأنها، وأنها انتصار للذات، وتحقيق للرجولة أو الأنوثة الحقة.

وأخيرا: أدب الجنس بكل ما فيه، وكل ما يتعلق به، موجود في كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، وكتب سلفنا العامة: كالتفسير وشروح

الحديث. أو الخاصة: كآداب العشرة، وعشرة النساء، واللقاء بين الزوجين على ضوء الكتاب والسنة، وغيرها كثير. مما فيه الغنى، كل الغنى عن مجلات الإثارة والفتنة، ومواقع الإباحية والخلاعة... ومن قرأ ما في المكتبة الإسلامية أغناه ذلك عن غيرها، وحفظه من الوقوع فيما حرم الله، ووهبه ثقافة كاملة وطاهرة، يستفيد منها ويفيد غيره.

معلومات عامـة

تمهيد

ما الذي نعرفه عن أجسامنا؟ وهل يعرف الكثيرون منا عنها أكثر من ملامحها الخارجية؟ وما الأسرار التي تنطوي عليها أجهزتنا المختلفة؟ أسئلة كبيرة تدفع الإنسان للتعلم، والتأمل والتفكر. فيقف على عظمة الخالق، وعظيم فضله، وجليل نعمه على الخلق. ولسوف نخص بهذا الفصل الحديث عن الجهاز الأهم المرتبط بموضوع الكتاب، الجهاز التناسلي عند الإنسان. وسنحاول أن يكون العرض بشكل ميسر موجز، ليكون لدى القارئ فكرة عن هذا الجهاز العجيب، الذي وهبه الله للإنسان من أجل مهمة عظيمة وجليلة. فالتعقيد، والدقة والعناية التي يحظى بها هذا الجهاز، بكافة أعضائه ومكوناته، يشي بأهميته وأهمية ما خلق لأجله. كما أن اختلافه في الذكر عن الأنثى، يوحي بالتكامل والتعاون، بل وحاجة كل طرف للآخر، حاجة الضرورة والوجود، لا حاجة الرفاهية والكماليات.

فالجهاز التناسلي لم يخلق لأجل العبث والمتعة والتسلية، وكذلك الغريزة التي تحركه، لم توجد بهذه الخصائص والميزات لكي يلهو بها الإنسان ويلعب! وإنما هي أدوات ووسائل لا يمكن لحياة البشر أن تستمر على وجه الأرض بدونها. فقد أوجدها الله لحفظ النوع البشري، كما أوجدها لتقوية أواصر المجتمع، وتمتين روابطه، وتوثيق علاقاته. وأرسل معها دليل الاستعمال الصحيح، كي تؤدي

إلى المنتج الصحيح، والغرض الذي وجدت لأجله. فإن استعملت بالشكل السليم، وحسب دليل الصانع، كانت سبب السعادة للبشرية، وفي خدمتها. وإلا سببت لها الشقاء، واستعبدتها.

فمن أجل إضفاء مزيد من الوضوح على موضوع التثقيف الجنسي، أو التربية الجنسية، خصوصا لدى الشاب والفتاة، اقتبسنا هذا الفصل العلمي من كتاب "الأمراض الجنسية عقوبة إلهية" للدكتور عبد الحميد القضاة. حيث يعرض بإيجاز للجهاز التناسلي عند الذكر، والجهاز التناسلي عند الأنثى. مع بيان مقتضب لوظيفة كل عضو من أعضاء هذين الجهازين.

الجهاز التناسلي عند الذكر

يتكون الجهاز التناسلي عند الذكر من الأعضاء الرئيسية التالية:

- عضو مولد للحيوانات المنوية، وهما الخصيتان.
- عضو ينقل هذه الحيوانات من مكان توالدها، إلى حيث يمكن طرحها خارج الجسم، وهو القناة الناقلة من كل خصية.
- عضو يتولى طرح الحيوانات المنوية في مهبل المرأة، وعلى مقربة من فوهة الرحم، وهو القضيب.

الخصية:

جسم بيضوي صغير يبلغ طوله ٤-٥ سم ويزن حوالي ٢٠ غراما، يُغلفه غشاء ليفي أبيض مائل للزرقة يبلغ سمكه مليمترا واحداً تقريباً،

وهو يرسل داخل الخصية حجباً ناقصة تقسمها إلى فُصيصات هرمية الشكل، تبلغ في كل خصية حوالي ٢٥٠-٣٠٠ فُصيصة، يُعد كل واحد منها جهازاً صغيراً كاملاً لتوليد النطف، إذ يحتوي كل فُصيص على ٢-٤ نُبيبات منوية طول كل منها ٢٠-٧٠سم وقُطرها ٥٠-٢٠٠ ميكرون[١] وهي تتعرج وتلتوي بشدة لتُشغل أصغر حجم ممكن، وهذه تستطيع إنتاج النطف من سن البلوغ حتى الممات ما دامت سليمة لم تعبث بها الجراثيم.

بعد تولد النطف في هذه النُبيبات تذهب إلى الطرق الناقلة، حيث يخرج من كل فصيص قناة مستقيمة تذهب إلى جسم هيغمور حيث ينشأ من تضافر هذه الأقنية المستقيمة شبكة تسمى (شبكة هالر)، ومنها تصدر ١٥-٢٠ قُنَيَّة موصلة، قطر كل منها نصف ملمتر وطولها يتراوح من ٤-٦ سم. تدخل هذه القُنيَّات الموصلة رأس البربخ، وتتعرج فيه وتتحلزن بشدة، ثم تتحد جميعها في قناة البربخ «قناة ملتوية متعرجة يبلغ طولها ٦م» لتسكن جسم البربخ، والبربخ جسم صغير يشبه الفاصلة ويتكون من رأس وجسم وذنب.

القناة الناقلة:

قناة أسطوانية صلبة منتفخة قبيل نهايتها، يبلغ طولها ٤٥ سم وقطرها ٢ملم، وتبدأ من البربخ، وتنتهي إلى تجويف البطن لتصب خلف المثانة في القناة الدافقة بجوار مصب الحويصل المنوي.

---

(١) الميكرون واحد من مليون من المتر.

القناة الدافقة:

قناة مخروطية الشكل يبدأ قطرها بـ٢ ملم وتنتهي بنصف ملم، يبلغ طولها ٥ر٢سم، تمتد عبر البروستات، وتنقل المني من القناة الناقلة إلى الإحليل.

الإحليل:

هو المجرى البولي الممتد من المثانة إلى القضيب، فصماخ البول ففوهة الإحليل، ويستعمل الإحليل القضيبي مجرى بولي، ومجرى تناسلي أثناء الجماع إذ يُقذف المني عبره.

القضيب:

عضو مفرد ذو بُنية إسفنجية، يُصبح صلباً عندما تحتقن هذه البنيات الإسفنجية بالدم، وبهذه الحالة يُصبح قادراً على دخول المجاري التناسلية للأنثى؛ لإيصال المني إليها. ويقذف الرجل عادة بواسطته في عملية الجماع الواحدة ٣٠٠-٥٠٠ مليون حيوانٍ منويٍ، تصل قريباً من فوهة عنق الرحم في الأنثى.

الحويصل المنوي:

محفظة غشائية تبطنه خلايا تفرز سائلاً مخاطياً، يصب في القناة الدافقة، إلى جوار مصب القناة الناقلة عند القذف.

الغدد الملحقة:

يلحق بالجهاز التناسلي للرجل، غدة مكورة تحيط بالإحليل بعد خروجه من المثانة، تسمى البروستات، وهي تنفتح على الإحليل بقنيّات صغيرة قرب مصب الأقنية الدافقة. وتفرز أثناء الدفق سائلاً شفافاً، ذا تفاعلٍ قلوي خفيف، يخلو من المخاط، ليمتزج بالسائل المنوي، فيزيد من سهولة وسرعة حركة النطف. وهو غني بالأغذية، لذا فهو يزيد من المخزون الغذائي للسائل المنوي.

وإلى جانب البروستات هناك غدتان أخريان تلحقان بالجهاز التناسلي للذكر، هما (غدتا كوبر)، وكل منهما مكورة بحجم حبة الكرز، وتتصل كل منهما بالإحليل بواسطة قناة مفرغة، يتراوح طولها من ٣-٤ سم، ومهمة كلٌ منهما إمداد السائل المنوي بإفراز لزج شفاف، يخرج أثناء الدفق ويصب في الإحليل.

ومن لطف الله بالرجل أن جعل له خصيتين، علما أن خصية واحدة قادرة على إنتاج ما يكفي من الحيوانات المنوية للإخصاب والتكاثر.

الجهاز التناسلي عند الأنثى

يتألف الجهاز التناسلي عند الأنثى من عضوين مزدوجين: هما المبيضان، والنفيران «قناتا فالوب»، وعضوين منفردين: هما الرحم، والمهبل.

المبيضان:

يوجد المبيضان في الجزء السفلي من البطن، ويبلغ حجم كل منهما حبة اللوز، ولونهما مائل إلى البياض، ولهما وظيفتان:

أولهما: إفراز الهرمونات الأنثوية، المسؤولة عن تنظيم الصفات الأنثوية في الأنثى، كنمو الثديين، ونعومة الصوت، وضيق الأكتاف، وسعة الأرداف، وترسب الدهن تحت الجلد، وحدوث العادة الشهرية.

وثانيهما: تكوين البُويضات، وتحرير بويضة واحدة كل شهر «الإباضة». ويتناوب المبيضان في هذه العملية، إذ يفرز المبيض الأيمن بويضة في شهر ما، ويُفرز المبيض الأيسر بويضة في الشهر الذي يليه، وهكذا. ويستمر إنتاج البيوض عند المرأة في الأحوال العادية، من سن البلوغ ٩-١٣ سنة حتى سن اليأس ٤٥ - ٥٥ سنة، ويُقدر عدد البيوض التي ينتجها المبيضان خلال هذه الفترة بنحو أربعمئة بويضة.

النفيران «قناتي فالوب»:

وهما أنبوبان رفيعان يفتحان على الرحم، لا يتجاوز قطر الجزء الداخلي منهما ٢ ملم، في حين يتسع الجزء الخارجي قليلاً، وتسمى نهايته بالبوق أو الصيوان. وينتهي البوق بنتوءات صغيرة تُشبه الأصابع، وتكون هذه الأصابع دائماً في حركة مستمرة؛ كي تلتقط البويضة عندما تخرج من المبيض. وقد لوحظ أن حركتها تبلغ الذروة في اليوم الرابع عشر لبداية الحيض، أي عند حدوث الإباضة. وتكاد هذه الأصابع أن تلامس المبيض في حركتها؛ وذلك كي لا تفلت البويضة الصغيرة منها، فتضيع داخل البطن.

والجزء الذي يلي الصيوان من النفير، ذو قطر كبير تقريباً يبلغ ١ سم، وفيه يتم الإلقاح عادة. أما الجزء الآخر من النفير، فذو قطر دقيق ويمتد قرابة ٣ سم، ويفتح في زاوية الرحم الجانبية أو ما يسمى قرن الرحم.

الرحـم:

بعد أن يتم تلقيح البويضة، يُصبح من الضروري لها أن تستقر في مكان أمين، وقرار مكين. يتأمن لها فيه أسباب الحماية والرعاية والنمو، وهذا المكان الهام هو الرحم « ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[1].

والرحم في الأساس عضلة مجوفة إجاصية الشكل، يبلغ حجمها حوالي ٨ سم طولاً و٥ سم عرضاً و٣ سم سمكاً. وقد خص الله عضلات الرحم بالقدرة الفائقة على التمدد وقت الحاجة. فالرحم الذي لا يتجاوز طوله في الأحوال العادية ٨ سم، يتمدد ليتسع لطفل يزن ٣-٤ كغم، بالإضافة للمشيمة والسائل الأمينوسي والأغشية الملحقة بالطفل، وبذا يتضاعف حجم الرحم عشرات المرات.

يغطى عنق الرحم من الداخل غشاء رقيق، يفرز مادة مخاطية تسده، وتمنع دخول الجراثيم إلى داخله. وقد وجد أن هذا السائل المُخاطي يصبح شفافاً جداً وغاية في الرقة في اليوم الرابع عشر لبداية الحيض، أي عند الإباضة؛ وذلك كي يُسَهِّل على الحيوانات المنوية الوصول إلى

---

(١) المرسلات ٢١.

البويضة، ليحصل التلقيح فالحمل، وبالتالي حفظ النوع البشري.

وعنق الرحم الذي لا يزيد اتساع فوهته على بضعة ملمترات، يتسع أثناء الولادة بحيث يسمح بخروج الطفل والمشيمة من هذه الفتحة الضيقة، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[1].

والرحم مثبت بواسطة عدد من الأربطة الليفية، التي تتمتع ببعض الحرية في الحركة، حسب مقتضيات الحمل وتنامي الجنين والولادة. كما يتأثر وضعها بامتلاء المثانة من عدمه، وبحركة الأحشاء.

المهبـل:

هو عبارة عن ممر يبلغ طوله ٨-١٠ سم قابل للتمدد والتقلص، حسب مقتضيات الحال، إذ يتمدد أثناء الجماع، وعند الولادة بحيث يتسع لخروج الطفل.

وجدار المهبل الداخلي مبطن بغشاء سميك، ونوع من الخلايا كتلك التي تُبطن الفم، وذلك كي تقي المهبل من أثر الاحتكاك أثناء الولادة أو الجماع. ويوجد في المهبل نوع من البكتيريا العصوية النافعة «Lactobacilli»، تأخذ على عاتقها تحليل المادة السكرية "الجلايكوجين"، الموجودة في خلايا جدار المهبل، وتحويلها إلى حامض اللبن. وهذا الوسط الحامضي يُساعد على قتل كثير من البكتيريا

(١) عبس ١٧-٢٠.

والجراثيم الضارة، لذلك يبقى المهبل سليماً، خالياً من الالتهابات، طيلة فترة الخصوبة، ما دام لم يُغزَ من جراثيم الأمراض المنقولة جنسيا.

الفـرج:

وهو الجزء الخارجي من الجهاز التناسلي عند المرأة، ويتكون من عدة أجزاء، لكل منها وظيفته الخاصة. وهذه الأجزاء مهمة جداً وهي:

البظر: وهو بروز بسيط يُشبه القضيب عند الذكر، لكنه أصغر منه حجماً، كما لا توجد فيه فتحة بولية.

– الشفران الصغيران: وهما حساسان جداً، ويحميان مدخل المهبل.

– الشفران الكبيران: وهما حساسان أيضاً، ولهما دور في الحماية كذلك.

– فتحة القناة البولية (الصماخ البولي): وهي تتصل بإحليل المرأة القصير، الذي يشكل المجرى البولي ابتداءً من المثانة.

– فتحة المهبل: وقد سبقت الإشارة إليه.

– غشاء البكارة: غشاء رقيق صلب، هلالي الشكل في الغالب. به فتحة صغيرة تسمح بخروج دم الحيض عند العذارى. وهذا الغشاء يتمزق عند الزواج أو الولادة.

– العانة: وهي المنطقة المكسوة بالشعر في أسفل البطن. وهي ليست من الأعضاء الجنسية.

أولاً: الاسلام والغريزة الجنسية

خلق الله الإنسان، وسخر له الكون، الشمس تمده بالضياء والحرارة، والقمر يمده بالنور، والأرض يدب عليها، يأكل من خيراتها، الدواب ذللها له تأتيه طائعة رغم قوتها، يمخر عباب البحر ويشرب ماءه، ويركب السماء ويتنفس هواءها، يسكن في الليل ويعمل في النهار، وبذا لم يخلقه عبثاً، ولا أراد له أن يكون في هذه الحياة هملاً، بل يحمل رسالة وله مهمة أقلها عمارة الأرض وخلافة خالقه عليها.

استودعه العقل، وزوده بالطاقات والقدرات، حتى إذا استعمل هذا العقل في حدود الطاقات، كانت حياته على الأرض رتيبة سعيدة، وله في الآخرة جنة الخلد، خلقه ولم يتركه وحيداً، بل كانت وستستمر رعايته له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من خلال رسل وأنبياء ومصلحين أرسلهم ويرسلهم على رأس كل قرن، يصلحون شأنه ويقومون مسيرته لتستقيم باستقامته البشرية، ولتبقى جنته خضراء يانعة، لا تعبث بها شياطين الإنس والجن، فتنقلب من عمارة للأرض إلى خرابها، ومن جنة تسعده إلى جهنم تحرقه.

ومن جملة ما استودعه من غرائز وطاقات، غريزة الجنس؛ لحفظ نوعه واستمرار حياته، وهو الآن - وبعد أن عبثت بها الصهيونية باسم العلم - لا بد أن يقف أمامها أحد مواقف ثلاثة.

فإما أن يطلق لها العنان دونما ضوابط أو حدود كما هو شأن الإباحية، فيصبح الإنسان في ظلها دابة في قطيع، قصارى جهده وأمله في الحياة الأكل والشرب والجنس، وماذا تطلب البهائم أكثر من ذلك؟ ويتحول المجتمع إلى مجتمع بهائم، يعيش المرء فيه هائماً على وجهه، لا يعرف بيتاً يلجأ إليه، ولا أسرة يحن إليها ولا حرمة يدافع عنها. ولا علائق تحدد ما له وما عليه، بل يحددها ضعفه وقوته. وفي ذلك انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان.

وإما أن يتجاهل وجودها، ويحبسها خلف أسوار عالية، ويكبتها بقيود مطلقة كما هو شأن الرهبانية. وفي ذلك مغايرة للحقيقة، ومصادمة للفطرة، ووأد لما خلق الله فيه. فيتصارع مع نفسه ومع الكون من حوله، ويضع حداً لجنسه واستمرار نوعه، فيشقى ولا تستقيم حياته، ولا يصبر على ذلك طويلاً تحت ضغط غرائزه الفطرية. فينفلت من التزاماته أمام الناس وأمام نفسه، ويمارس الجنس سراً ... لكنه يشعر بانهزام داخلي؛ لأنه يقول شيئاً ويمارس شيئاً آخر معاكسا تماماً له .... فيقع في دوامة التناقض، التي تجعل معيشته ضنكا. والشواهد على ذلك كثيرة !!

وإما أن يكون صادقاً مع نفسه فيعترف بوجودها، ويصغي إلى متطلباتها وحاجتها الملحة للإشباع. فيشبعها وفق نظام معين، دون كبت مرذول أو انطلاق مجنون. وبهذا لا يصادم الفطرة، ولا يتناقض مع نفسه، ولا يتصادم مع الكون من حوله، ويسمو بإنسانيته ويرتفع عن مستوى البهائم، ويستمر نوعه، ويحقق عمارة الأرض التي استخلفه الله فيها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أين الإسلام من هذه المواقف وبأيها أخذ ؟؟؟.

إنه ابتداء جاء للإنسان من رب الإنسان، الذي استخلفه في الأرض، وكلفه عمارتها، وبين له السبيل إلى ذلك. خاطب فيه العقل والروح معاً، وأشبعهما معاً حتى لا يعيش التناقض. فلم يترك العقل ينمو على حساب الروح أو العكس، وبذا ارتقى به أن يهبط إلى مرتبة الحيوان. فشرع له الزواج سبيلاً لإشباع غريزته الجنسية، وطريقاً لبناء الأسرة التي يحن إليها، والبيت الذي يأوي إليه، ووسيلة لحفظ النوع الذي تستمر معه عمارة الأرض. وجنبه التصادم مع نفسه، بأن أوجب عليه الزواج، وحرم عليه الرهبانية والحرمان.

هذا الموقف العدل الوسط للإسلام، بين جنون انطلاق الشهوة، وفوضى الممارسة الجنسية، وبين الكبت والحرمان، وبين أن يعيش المسلم جنة عرضها الأرض. إنه موقف أسعد الفرد وبالتالي أسعد البشرية، وحفظ استمرار النوع الإنساني، وعمارة الأرض بانسجام كامل بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الكون من حوله.

فنظرته إلى الجنس نظرة شمولية، تستند إلى الإحاطة الكاملة بطبيعة الإنسان وتركيبه الفسيولوجي والنفسي. وتهدف إلى تحقيق التوازن، والانسجام في إشباعها. فلم يسمح باختزان الطاقة الجنسية للفرد مدى الحياة؛ لأن ذلك مغاير لها، ولا تستقيم بدونها. لا بل أمر باستخراجها بما يوافق الشرع؛ لتحقيق مقاصده الإنسانية. ومع أن في استخراجها لذة ومتعة، إلاّ أنه لم يقصر استخراجها على هذا

الهدف وحده. بل قصد إلى جانب ذلك بناء الأسرة، وتوطيد أواصر المودة والرحمة بين الرجل والمرأة، والبنت والولد، والأم والأب وذويهما. لتكون الأسرة موطن الراحة والاستقرار ومصنع الأجيال، ثم استمرار النوع وتكاثر النسل وعمارة الأرض.

وفوق ذلك جعل في استخراجها، وممارسة الجنس ابتغاء العفة وإنجاب الولد، عبادة مأجورة. وفي ذلك يقول ﷺ (**... وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: أيأتي أحدنا شهوته يا رسول الله ويكون له فيها أجر؟ قال أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**)[1].

وفي ضوء ما تقدم، من نظرة الاسلام الشمولية الى الغريزة الجنسية وغايتها، وتعامله الفطري الوسطي والعملي في التعايش معها، فيما يرضي الله تبارك وتعالى، من هذه الأرضية الصلبة ينطلق قطار التثقيف الجنسي، بضوابطه الشرعية، التي تتناسب ومراحل الأبناء العمرية على النحو التالي:

ثانياً: المراحل (الفئات) العُمرية

لا شك أن الإنسان – شأنه شأن كل كائن حي – يمر خلال حياته في مراحل عمرية متعددة، تختلف فيها احتياجاته، ومتطلباته الحسية والمعنوية، كما تتميز كل مرحلة عن غيرها بخصائص تميز

---

(١) رواه مسلم.

قدراته، واهتماماته، ومسؤولياته. وقد اجتهد العلماء في مختلف الميادين في بيان هذه المراحل العمرية، وتحديد فواصلها الزمنية، وتفصيل خصائصها. وقد كثرت الاجتهادات، وتعددت التقسيمات، وتباينت تباين التخصصات العلمية ذاتها؛ فلعلماء النفس والاجتماع تقسيماتهم التي تختلف عن تقسيمات علماء الشرع والقانون، ولعلماء الأحياء تقسيماتهم التي تختلف عن هذا وذاك؛ إذ لكل اسسه المعتمدة في التصنيف وأغراضه الخاصة، وبحسب هذه الأغراض تختلف التصنيفات أو تتشابه.

وبما أننا نتحدث هنا عن موضوع تربوي وتشريعي واجتماعي، فقد رأينا أن نعتمد تصنيفا مركبا يوافق الأهداف التي وضع من أجلها هذا المبحث ... ولنستبين كيف جاءت هذه التقسيمات، وعلى أي أساس وضعت، لا بد من التعرف إلى ما ورد في القرآن والسنة بهذا الخصوص:

المراحل العُمرية في القرآن الكريم:

ورد بيان مراحل حياة الإنسان من حيث القوة والضعف، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[1]. وهكذا أشارت الآية الكريمة إلى ثلاث مراحل هي

(١) الروم ٥٤.

الطفولة الضعيفة، والقوة والعنفوان، ثم الضعف والمشيب. كما جاء تأكيد ذات المعنى وذات التقسيم في موضع آخر حيث يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1]، وقد عرجت الآية الكريمة هنا على مراحل خلق الإنسان منذ بداية النشأة الأولى إلى رحلة الخلق في الرحم وحتى أرذل العمر فالموت نهاية رحلة الحياة الدنيا.

ومرحلة الطفولة نفسها ورد فيها أكثر من مستوى وتقسيم، إذ ورد ذكر الرضيع، وبيان مرحلة الرضاعة ومدتها، قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[2]، فالمرحلة الأولى من حياة الإنسان هي الطفل الرضيع، وتستمر منذ الولادة حتى عمر سنتين. كما جاء ذكر مرحلة الطفولة نفسها وتقسيمها إلى مميز وغير مميز، في معرض الحديث عن حكم كشف المرأة زينتها في قوله تعالى: ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[3]

(١) الحج ٥.
(٢) البقرة ٢٣٣.
(٣) النور ٣١.

وقد بين بعض المفسرين معنى ﴿ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بأنهم الأطفال الذين لا يميزون المرأة الشوهاء من الحسناء، إذ أنهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن. وهذا له حكم مختلف عن الطفل المميز. ولتفاوت القدرات على التمييز لدى الأطفال، يصعب تحديد العمر الفاصل بين المميز وغير المميز، غير أن البعض اعتبر سن العاشرة هو سن التمييز الذي قد يدعوا لتحريك الشهوة؛ إذ هو السن الذي أمر فيه الحديث بالتفريق في المضاجع بين الأولاد. فيكون التقسيم من هذه الناحية من الولادة حتى ما دون العاشرة مرحلة الطفولة غير المميزة، ومن العاشرة حتى البلوغ مرحلة الطفولة المميزة. علما أننا نعتقد أن سن التمييز في هذا الزمن قد أصبح أقل من العاشرة، بسبب تعرض الطفل لما تنفثه الفضائيات من المعلومات المختلفة والصور الفاضحة، التي تثير الغرائز الهاجعة قبل وقتها، وتسبب تضخما في المعلومات عند الطفل الصغير، مما يؤدي إلى نمو غير متكافىء، مختلف عن النمو الفطري المتوازن «جسما وعقلا».

ومن المراحل العمرية التي وردت في القرآن الكريم، مرحلة هامة وفاصلة في حياة الإنسان، وهي مرحلة البلوغ «بلوغ الحلم»، والتي ترتبت عليها أغلب أحكام الإسلام، من حيث مسؤولية الإنسان عن خياراته، وتصرفاته، مسؤولية تامة. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ

وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[1]، وعلامتها للذكر الاحتلام والإنزال، وللأنثى الحيض وهي عادة في عمر ١٣ سنة على الغالب الأعم، تزيد أو تنقص قليلاً.

ومن الحدود الفاصلة بين المراحل العمرية للإنسان حد الرشد، والذي ورد ذكره في مجال المعاملات، وبلوغ الإنسان سن القدرة على تحمل ال المسؤوليات المالية والتصرف بها، قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾[2] وهي مرحلة ذات علاقة بالنمو العقلي، ولذلك تحتاج إلى اختبار لإثبات القدرة والتأهل لمرحلة الرشد، وتكون في العادة متزامنة مع سن البلوغ، أو تالية له.

أما مرحلة قمة القوة التي يبلغها الإنسان، فقد بينها القرآن وحدد صفتها وسنها بوضوح حيث قال: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ

(١) النور ٥٨-٥٩.

(٢) النساء ٦.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، وعلى الرغم من ورود تعبير (الأشد) في ستة مواضع في القرآن الكريم، إلا أن هذا هو الموضع الوحيد، الذي قرنت فيه صفة الأشد بالعمر أربعين سنة.

وأخيراً ورد ذكر مرحلة المشيب ثم الهرم وأرذل العمر، والحديث عن فقدان العلم والمعرفة في هذه المرحلة التي يطلق عليها الخرف في اللغة العربية، والعودة بعقلية الطفل الذي لا يعلم شيئا في هذه الحياة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[2] ونفس العبارة والتوصيف وردت في سورة الحج المشار إليها آنفاً، وتتضمن هذ المرحلة صفة ورد ذكرها بحكم خاص في النساء، هي القواعد، قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، وبين مفهوم هذا المصطلح بانقطاع رجائهن من الزواج فلا رغبة لهن به ولا يرغب هو بهن.

---

(١) الأحقاف ١٥.

(٢) النحل ٧٠.

(٣) النور ٦٠.

المراحل العُمرية في السنة النبوية المطهرة:

ورد فيها الكثير مما يوافق ما جاء في كتاب الله عز وجل، في التقسيمات التي أوردناها آنفا. ولكن من أشهر ما زاد عليها، حديث حسن اشتهر بين الناس، الحديث الذي رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **(مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)**[1]، فهذا حديث يحدد مرحلتين فاصلتين في حياة الطفل، المرحلة الأولى هي بداية سن التعلم والتلقي، وفهم الأوامر ووعيها واتباعها، وهو سن السابعة «سن الأمر، أو سن التعليم، كما جاء في رواية أخرى علموا أولادكم». والمرحلة الثانية مرحلة الإلزام والعقاب، ومرحلة التفريق في المضاجع، وهي سن العاشرة. يعاقب فيها الطفل على ترك الصلاة وتكاسله عنها، ويلزم فيها بالنوم في فراش مستقل؛ حذراً من غوائل الشهوة.

وعلى هذا فإننا سنعتمد ثمانية مراحل عمرية، أو محطات ومفاصل ذات أحكام خاصة، وخصائص مميزة تنعكس على مسؤوليات الفرد والمجتمع.

ثالثا: التثقيف الجنسي وضوابطه الشرعية حسب المرحلة العُمرية

وعطفا على ما سبق، من نظرة الاسلام الشمولية لحياة الانسان على هذه الارض، والغريزة الجنسية جزء منها، تتناغم مع ضوابطها؛

---

(١) رواه أبو داود.

ليعيش هذا الانسان حياة طيبة كريمة، تليق بكيانه البشري، بعيدا عن الشيطان واعوانه. فقد جعل رسولنا ﷺ الدين اساساً رئيساً في اختيار الزوجين لبعضهما، ودلهما على ما يحفظ لهما نسلهما مستقبلا بعيدا عن الشيطان وغوايته، فأمرهما بالدعاء عند المباشرة الحميمية (قبل الجماع) وقبل ان يتكون الجنين؛ يقول الرسول ﷺ: **(لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره)**[1].

وقد بيّنا فيما سبق المراحل والفئات العمرية التي وردت في الكتاب والسنة، وعلى ضوء ذلك اعتمدنا ثمانية مراحل مفصلية؛ لأغراض التثقيف الجنسي. وكما أن لكل مرحلة منها خصائصها وخصوصيتها، فإن لها أحكامها المتعلقة بالتثقيف الجنسي، وما يتصل به من أمور عملية ونظرية، تجب مراعاتها والانتباه لها والاهتمام بها. ولكل منها كذلك مستوىً معين من المعلومات، التي يجب أن يزود بها الطفل أو البالغ؛ لتستقيم الحياة به وله، وتفصيل ذلك فيما يلي:

التثقيف في مرحلة الطفولة:

يقول صاحب القاموس المحيط: "والطِّفْلُ، بالكسر: الصَّغيرُ من كلِّ شيءٍ، أو المَوْلودُ"، وهي تشمل المرحلة العمرية منذ الولادة حتى بداية البلوغ. وتتميز هذه المرحلة بشكل عام بعدم المسؤولية،

(١) رواه البخاري.

وعدم التكليف الشرعي. ولكن بحاجة ماسة إلى الرعاية والتعليم والتربية والإرشاد، وتمتاز كذلك بسرعة التطور والنمو لدى الطفل، والمرور بعدة أطوار متمايزة خلالها؛ ولهذا يتم تقسيمها إلى خمسة أطوار على النحو التالي:

أ. الطفل الرضيع:

وهذا الطور يستمر منذ الولادة حتى عمر سنتين، حيث يصبح الولد فطيماً، ولا يعود بحاجة إلى الرضاعة من أمه. وفيما يتعلق بالتثقيف الجنسي فلا يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى أكثر من:

* مراعاة الوالدين له بعدم ممارسة العلاقة الزوجية «الجماع» أمامه.

* عدم تعري أي من الوالدين تماماً أمامه.

فليس كونه لا يستطيع الكلام، أو لا يتذكر ذلك في المستقبل، أنه لا يعي كل ما يجري حوله، بل تكون قوة الاستكشاف لديه والتعرف لما حوله عالية جداً، وقد تترك مثل هذه المناظر تأثيرات تختزن في عقله الباطن «اللا وعي»، وتؤدي في المستقبل كما بينت الدراسات؛ إلى تأثيرات سلوكية سلبية. وقد نهى العديد من التربويين والفقهاء عن هذا السلوك الذي قد يغفل عنه الكثير من الآباء والأمهات لظنهم عدم تأثر الطفل بهذه المشاهد.

ب. الطفولة المبكرة:

وهذا الطور يستمر من عمر سنتين «الفطام» حتى عمر ست سنوات. وفي هذا العمر يصبح الطفل أكثر وعياً لما يجري حوله، وأكثر قدرة على الحركة والتنقل المستقل، وحب الاستطلاع وتقليد الكبار؛ وفي هذا يقول العلماء: «أن سلوك أبنائنا في سني المراهقة هي انعكاس لما زرعناه في أنفسهم في الست سنوات الاولى من حياتهم»؛ ولهذا لا بد من مراعاة ما يلي:

* التأكيد على ما ورد في طور الرضيع.

* تعليم الطفل حكم الاستئذان على الوالدين، في أوقات العورات التي بينها الله تعالى في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[1]؛ وذلك حتى لا يقع بصر الطفل على عورة الآخرين، أو هيئة للوالدين لا يجب أن يراهما عليها، مما يترك أثراً سلبيا في نفسية الطفل، قد ينعكس على شكل سلوك خاطئ مع أخوته، نتيجة حب الاستطلاع والتقليد الذين يتميز بهما في هذا السن.

* يجب تعويد الطفل على غض البصر عن النظر إلى عورات

---

(١) النور ٥٨.

الآخرين، وخصوصاً أقرانه، إذ يغفل الكثيرون عن ذلك.

* يجب عدم الاستهتار أو تحوير أي سؤال يطرحه الطفل على الوالدين، خاصة فيما يتعلق بأعضاء جسمه، ويجب الإجابة عليها بطريقة ملائمة لقدرته على الفهم، والجواب يجب أن يكون صحيحا، ولو كان جزئيا غير كامل؛ بسبب عدم المعرفة أو صغر سن الطفل السائل.

* يجب عدم نهر الطفل لطرح مثل هذه الأسئلة، فإن ذلك يؤدي إما إلى اللجوء إلى مصادر أخرى للحصول على الإجابة التي يبحث عنها، وبالتالي لا تضمن نظافة هذه المصادر وسلامتها من جهة، ومن جهة أخرى قد يزعزع ثقة الطفل بوالديه، ويدفعه إلى عدم اللجوء إليهما في توجيه الأسئلة التي تدور في ذهنه، واللجوء إلى المصادر الأخرى. كما قد يؤدي إلى كبت الطفل لما يدور في خلده من التساؤلات، التي هي في الأصل نتاج التطور الطبيعي لمستوى الوعي والاستكشاف لديه. وعملية كبتها والتردد في طرحها، تساهم في كتم روح التعلم والاستطلاع وحب المعرفة لديه؛ فينتج لدينا طفل محدود الذكاء والقدرة على التعلم أو الرغبة فيه. أو بمعنى آخر تقتل روح التعلم لديه وتخيفه من أدواته.

* يجب على الأم خاصة، غرس حرمة إظهار العورة للآخرين عند الطفل منذ الصغر.

* يجب إشراك الطفل بالحوار، إذا سأل عن أي أمر جنسي، حتى تعرف ما عنده من معلومات.

* يجب أن تسأل أهل الاختصاص عن الطريقة المثلى لجـواب الطفـل، إذا لم تكن متأكداً مما عندك.

* يجب إقلاع الأم عن عادة الغُسل الجماعي لكل الاطفال معا في آن واحد، وإذا كانت مضطرة لذلك؛ فلا بد من تغطية العورة المغلظة لهم جميعا.

جـ. الطفولة الوسطى:

وهي الطفولة من سن سبع سنوات حتى سن تسع سنوات. ومع بداية هذا الطور يبدأ التعليم المنهجي للطفل في المدارس. فهو السن الذي أمر الرسول ﷺ ببدء تعليمهم بعض الواجبات الشرعية كالصلاة. ولذلك يجب مراعاة ما يلي:

* يجب التاكيد على الالتزام بقواعد الطور السابق «الطفولة المبكرة».

* التركيز في هذه المرحلة على تعليم الطفل الصلاة؛ بالقدوة وحسن التشجيع.

* يجب أن نبادر بتقديم بعض المعلومات البسيطة، من باب التعليم والتثقيف، سواءً العام أو الشرعي، المرتبطة بالموضوع الجنسي.

* تعليم الطفل مفهوم العورة، ووجوب سترها، وموضوع غض البصر عن النظر إلى عورات الآخرين، وما يجوز النظر إليه وما لا يجوز. ووظيفة الأعضاء التناسلية وضرورة عدم العبث بها. وربما

تزويده ببعض المعلومات البسيطة عن الفرق بين الذكر والأنثى، سواءً من ناحية البنية الجسدية، أو الوظيفة المجتمعية.

* تعليم الطفل معنى الطهارة، وأنها من شروط صحة الصلاة، وهنا نجد الكثير من المداخل للحديث حول الأعضاء الحساسة من الجسم، سواءً القبل أو الدبر، وكيفية التأكد من طهارتهما، والعناية بنظافتهما، وما يجب غسله منهما، وأنواع الإفرازات التي تخرج منهما، وصفة هذه الإفرازات من حيث الطهارة والنجاسة، وأثرها على الوضوء. يكون ذلك في اجواء جدية وظلال ايمانية، تُشعر الطفل انه اقترب من الرجولة.

* فتح مدخل من خلال ما سبق للحديث عن الحيض والجنابة، وأحكامهما بشكل عام، ربما بدون الخوض في تفاصيلها الدقيقة.

* يمكن للأم الاستعانة بالجزء الاول من سلسلة قصص "لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة" المذكورة في هذا الفصل تحت بند رابعا.

د. الطفولة المتأخرة:

وفي هذا الطور الذي يستمر من سن عشر سنوات حتى سن اثنتي عشرة سنة، يقوم الأهل والمربون بمراعاة أن الطفل بدأ طور التفاعل مع المؤثرات الجنسية.

* يجب التفريق بين الأولاد في المضاجع في هذا السن، ولعل الصِيَغَ المُتعدِّدَةَ والرِّوايات المُختلفة للأحاديث النبوية الشريفة

التي تأمرُ بذلك، دليل على أنَّ الرسولَ الكريم، ﷺ، قد نَبَّهَ للأمر في مُناسبات عِدة ممّا يَدُلُّ على أهميَّتِه ومدى الاهتمامِ بِهِ، تحذيراً من غوائل الشَّهوةِ وإن كانوا إخوة وأخوات.

* يجب التأكيد على ما تم تعليمه للطفل في المراحل السابقة، وعدم التهاون في إلزامه بها، ومعاقبته ربما إذا تغافل عنها، قياسا على حديث الرسول، ﷺ، في موضوع الصلاة (... **وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ**)[1]؛ والمزيد من التركيز والتوضيح والتفصيل لما تعلمه من أسس فيما سبق. فالتركيز على آداب الاستئذان، وغض البصر.

* يجب تعليم الطفل مفهوم الخلوة وحرمتها، وحكم لمس المرأة الأجنبية وعدم مصافحتها، والحكمة من كل هذه الأحكام الشرعية.

* كل ما سبق هي أمور شرعية يجب تزويد الطفل بها في هذا السن والتأكد من فهمها، وتمام وعيه بها. إذ إنها كلها واجبات شرعية يجب الالتزام بها.

* مساعدة الأبناء على تكوين أصدقاء من عوائل محافظة ومهتمة بأبنائها. ومن المهم جداً معرفة أصدقاء الطفل المقربين، والذين يتأثر بهم، ومدى سلامة بيئتهم المنزلية، وسلوكياتهم وأدبهم، وطبيعة الأحاديث التي تدور بينهم، وذلك للتأكد من

---

(١) حديث حسن رواة الترمذي وأبو داوود.

سلامة الرفقة، فلا يرشح له من خلالهم ما يخل بالتربية، أو يشوه التصور الذي نرمي إلى بنائه في دواخلهم بخصوص العلاقة بين الجنسين.

* محاورة الولد حول بعض العلامات كتغير الصوت وظهور الشعر والانتصاب والجنابة.

* محاورة البنت حول الحيض والجنابة والطهارة...الخ.

* اقتناص الفرص من قبل المربين وخاصة الوالدين للحديث حول هذه الأمور بغطاء ديني، كقصة وردت في القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

* يمكن للوالدين والمعلمين والمعلمات الاستفادة من سلسة «لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة» فهي تُغطي معظم ما سبق في ضوء الشريعة الاسلامية.

وعلاوة على كل ما سبق، لا بد من تذكير الأم خاصة ببعض الأمور الهامة لتنشئة الطفل، ومساعدته لتثبيت ميوله الفطرية، التي تتناسب وخلقته التشريحية، حيث ثبت أن للبيئة دوراً مهماً في توجيه الميول منذ الصغر سلباً أو ايجاباً. وهذا مما دلنا عليه رسول الله ﷺ في الحديث الشريف حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه «، أي أن للأبوين دوراً مهماً جداً لأنهما أقرب أجزاء البيئة للمولود... لهذا فان للبيئة التي يعيش فيها الطفل أهمية خاصة في نشأته، ولذلك فإنه لا بد للأم من مراعاة ما يلي من السنة الأولى من عمر الطفل، ذكرا أو انثى مع المساواة التامة بينهما:

١- يجب الانتباه للألعاب، فلكلٍ نوعيةُ العابه، فلا يعقل أن ننشىء طفلة على ألعاب السيف والدبابةً والمدفع...الخ، كما لايعقل أن ننشىء ولدا ذكرا على العاب العرائس وفساتينهن والحلق والذهب .... الخ

٢- يجب الانتباه ايضا للملابس والمظهر العام من قصة شعر أو غيرها، فلكل ما يخصه مما تعارف الناس عليه.

٣- يجب على الأم الاجتهاد في إخفاء عملية الرضاعة الطبيعية عن اعين الاولاد الذكور، لأن هذا فعل انثوي صرف، وقد سُجلت حالات يقلد فيها الأبناء الذكور امهاتهم في ذلك مما أثر على ميولهم عند الكبر سلباً.

٤- يجب تعليم الاطفال الأدعية المأثورة وخاصة أدعية اليوم والليلة.

٥- اعتماد بعض القصص الهادفة عند نومهم مستقاة من القرآن الكريم، كقصة مريم العذراء وقصة سيدنا يوسف عليه السلام، ومن أحاديث الرسول ﷺ، كحديث (**سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**)[1].

---

(١) متفق عليه.

وحديث الثلاثة نفر الذين آواهم المبيت الى كهف، حيث قال ﷺ: **(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدْعُوا الله تعالى بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً. فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرجع إليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقَهُما، فوجدتهما نائمَيْن فكرهت أن أوقظهما وأن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت – والقدح على يدي – أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر – والصبْية يتضاغَونَ عند قدمي – فاستيقظا، فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فَفَرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار؛ على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتقِ الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجَراءَ وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب. فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال:**

يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك. فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون)[1].

وهكذا فالقصص كثيرة، يجب استعمالها لأنها تغرس في نفوس الاطفال معاني إيمانية سامية.

هـ. مرحلة المراهقة:

وتعني في الأصل اللغوي الاقتراب، فراهق الغلام أي قارب الاحتلام، ورهقتُ الشيء رهقاً أي قربت منه. وهي من سن ١٣ إلى ١٥ سنة (ما لم يبلغ الطفل، حيث يبلغ البعض في بعض البيئات بهذا السن)، فهي مرحلة ما قبيل البلوغ، وليست مرحلة البلوغ نفسها، على غير مفهومها لدى البعض. فإذا احتلم الولد، أو حاضت البنت، فقد دخل في المرحلة التي تليها، أي مرحلة البلوغ. أما المراهقة فهي مرحلة التهيئة للبلوغ، التي يجري خلالها العديد من التغيرات الحسية، والنفسية، والذهنية، على الطفل لتنبئه أن أمراً هاماً سيحدث له! لهذا فهي مرحلة حساسة ودقيقة، وتصبح معقدة إذا كان الأهل قد أغفلوا التربية والتوجيه والرعاية في المراحل السابقة.

---

(١) متفق عليه.

هذه المرحلة التي يسميها البعض مرحلة الولادة الجديدة، يجتهد فيها المراهق للانفلات من الطفولة المعتمدة على الكبار، ويبحث عن الاستقلال الذاتي. فيلاحظ على نفسه بداية تغييرات جسمية سريعة؛ بسبب زيادة إفراز هرمونات النمو، كزيادة واضحة في الطول، وزيادة في الوزن، وكثرة الدهون عند الإناث خاصة، وكذلك نمو الهيكل العظمي بشكل عام، وتغير في الصوت بالنسبة للذكور، ونمو الشعر في أماكن حساسة، كالعانة والإبط. وبعض هذه التغييرات قد يتأخر إلى ما بعد البلوغ (خلال فترة البلوغ وليس المراهقة).

* من المهم جداً في هذه المرحلة تعليم الطفل عدمَ الخجلِ من السُّؤالِ عن التطورات التي تَحصلُ معهُ، سواء كانت نفسية أو جسديَّةً أو عاطفيَّةً. بل يُمكنِهُ السُّؤالُ عن كُلِّ ما يجولُ في خاطرِهِ.

* يجب ان يَجِد المراهق عند والديه الصَّدرَ الواسِعَ، والعقلَ المُتفهِّمَ، والجوابَ الشّافي في جوٍّ من الاحترام والتقدير والإكبار. وليسَ اللومُ أو الدَّهشَةُ والعتابُ! فهذا كتابُ الله الكريمِ المُطهَّر يتحدثُ عن النِّكاحِ لتَرِدَ فيه الكلمةُ ومشتقاتُها ٢٣ مرة، ومُباشرة الأزواج لنسائهم وردت عشرات المرات بصيغ مختلفة كذلك.

* يجب التأكد من أن المراهق في هذه المرحلة يعرف تماما معنى البلوغ، وعلاماته، وما هي الأحكام المتعلقة به فعلاً وتركاً، وما قد يواجه خلال مرحلة البلوغ من مشاكل وأمور قد توقعه في مطبات ومحاذير شرعية. فمثلا:

أ. يجب التأكد من أنه يتقن التطهر للصلاة من كلا الحدثين الأكبر والأصغر، فيعرف أحكام الاستنجاء وكيفيته.

ب. ويجب ان يعرف تماما معنى الجنابة وأحكامها، والحيض وأحكامه (بالنسبة للإناث)، والغسل بفرائضه وسننه ومستحباته وكيفيته، وآداب الخلاء.

جـ. كما يتم التأكد من التطبيق السليم لآداب الاستئذان، وغض البصر، وحرمة النظر إلى الصور العارية، وعدم مصافحة غير المحارم، ومعنى العورة لكل من الرجل والمرأة، وما يجوز كشفه وما يجب ستره على كل من المحارم والأجانب، وكذلك بيان من هم المحارم ومن هم الأجانب.

د. كما يجب أن يعرف سنن الفطرة، وما يتعلق منها بالنظافة الشخصية، أو ما يدخله البعض تحت مسمى الصحة الجنسية، مثل حلق العانة، ونتف الإبط، حيث يكون الشعر حديث النمو في هذه المناطق، ولا عهد له بكيفية تنظيفها سابقاً.

هـ. كما يجب ان يتلقى دروساً جنسيَّةً، حول كافة المخلوقات التي تتكاثرُ، وطُرُقِ تكاثُرها كوظيفةٍ حيويَّةٍ ضروريَّة لاستمرار وُجودها. انطلاقاً ممّا يحصلُ في النّباتات إلى ما هو عليه الحال عند الحيوانات، وصولاً إلى ما يكون بين بني البشر. بتدرُّجٍ تصاعُدي من البسيط إلى المُعقد ... ومن السَّهلِ إلى الصَّعب ... ومن العادي إلى الحرِج؛ في جوٍّ علمي يَتميَّزُ بالجدِّيَّةِ والمِصداقيّة والحِشمَةِ.

و. كما يوصى وبشدة، إعطاء الطفل فكرة عامة خلال هذه

المرحلة – ويتم استكمالها وتفصيلها خلال المرحلة القادمة – حول العلاقات الجنسية، وما يحرم منها وما يحل. فيبين له ما هي العادة السرية وحكمها وأضرارها، واللواط وبشاعته وحكمه وعقوبته، وكذلك الزنا ومضاره وخطورته وعقوبة فاعله.

ز. يجب ضبط ما يعرض في البيت من خلال (تشفير) المحطات في التلفاز، حيث الكثير من الفضائيات غير المنضبطة بمسرحياتها وأفلامها، حتى لا تؤثر سلبا على الأبناء.

ح. يجب دفع الأبناء إلى مراكز الفضيلة لحفظ القرآن الكريم حيث الصحبة الصالحة. والجو القرآني الجاد والتوجيه السليم.

ط. يجب توجيه الأبناء نحو الرياضة والمطالعة للاهتمام بأجسامهم وعقولهم.

ي. مناقشة محتويات قصص لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة مع الآبناء والبنات من قبل الأب والأم، كل في اختصاصه.

وتقديم المعلومات والتثقيف في هذه المرحلة يقع عبؤه على كاهل المدرسين والمدرسات بالإضافة للوالدين. فالمسؤولية هنا مشتركة، ويجب التعاون والتنسيق ليتم القيام بها على أتم وجه.

التثقيف في مرحلة البلوغ:

وهي فصل الخطاب، والحد الحاسم ما بين تمام المسؤولية ونقصانها، وهي العلامة الفارقة في حياة الإنسان. فبظهور علامات

البلوغ يصبح الإنسان العاقل مسؤولاً عن تصرفاته مسؤولية كاملة، ولهذا سُمي سن التكليف الشرعي؛ إذ أنه مطالب بأداء الواجبات الشرعية، واجتناب المنهيات والمحرمات، وتطبق عليه العقوبات الشرعية «القانونية» إذا خالف أو قصر في شيء من ذلك.

ولعل مرحلة البلوغ هي المرحلة الوحيدة في حياة الإنسان المرتبطة – غالباً – بحدث محدد وواضح، ليس للشخص نفسه أو لغيره يد في تحديد موعده، أو تقديمه أو تأخيره: فإن كان كل من الفطام والزواج حدث محدد وواضح في حياة الإنسان، إلا أن له الخيار في تحديد موعد الزواج، وللوالدين الخيار في تحديد موعد الفطام، وليس كالبلوغ. وإن كانت بقية المراحل العمرية تأتي نتيجة تطور نموه الجسمي والعقلي، خارجاً عن سيطرته وتحكمه، إلا أنها غير مرتبطة بحدث محدد وواضح كالبلوغ. وهذا ينم عن أهمية هذه المرحلة ومفصليتها؛ لذا تميزت بهذا التحديد والوضوح والطبيعية والتلقائية.

وبعيداً عن الخلافات بين القوانين الوضعية، والمذاهب الشرعية في مسألة سن التكليف، فإن موضوعنا هنا مختلف، لا يهدف إلى إلزام بتكليف، أو تنفيذ عقوبة لتقصير في واجب أو مخالفة ممنوع؛ وإنما نحن بصدد تثقيف وتعليم وتربية، وارشاد وتوضيح وبيان. وبما أن هذا الإنسان "البالغ" قد ملكه الله هذه النعمة "القدرة على الإنجاب" وأودع فيه هذه الشهوة "الميول للجنس الآخر"؛ فلا يجوز أن تترك هذه القوى من غير ضوابط وحدود ومسؤوليات.

فإذا كان السن القانوني الوضعي لتحمل المسؤولية ١٨ سنة، وبلغ الشاب والفتاة مرحلة الشهوة والقدرة على الإنجاب في سن ١٥ سنة مثلاً، فهذا يعني أنهما إذا اقترفا علاقة غير شرعية، فإنهما ليسا مسؤولين عن تصرفهما، ولا عما قد يترتب على هذا التصرف! وليس من فساد قد يفتك في أي مجتمع، أكبر من أن يكون لدى فرد فيه قدرة على فعل أمر ما، دون أن يتحمل مسؤولية نتاج فعله. لهذا ارتبطت المسؤولية الشرعية بهذه الظاهرة "ظاهرة البلوغ" ولم ترتبط ببلوغ سن معين كالقوانين الوضعية.

وعندما يبلغ الشاب أو الفتاة هذا السن، يجب أن يكون عارفاً بكل ما يترتب عليه من مسؤوليات شرعية، واجتماعية، ومدركا لمدى الحزم والحسم في ضرورة الالتزام بهذه المسؤوليات، واتباع التعليمات؛ والتي يكون قد تعلمها وتدرب عليها سابقا في المراحل السابقة، فيلتزم بها بعد الآن التزاما تاماً. كما يجب أن يكون عارفاً بما يترتب على كل مخالفة لهذه التعليمات من آثار ومخاطر وأضرار صحية ونفسية وسلوكية واجتماعية، تعود على المجتمع أو على الشخص نفسه، وبالتالي طبيعة العقوبات التي تترتب عليها؛ ليكون هذا دافعا له للتقيد بها، ورادعا له عن تجاوزها وتجاهلها من جهة، ومن جهة أخرى ليتحقق العدل التام معه في تطبيق العقوبة حال إصراره على تجاوز الحدود وتجاهل القوانين. ومعرفة وسائل كبح جماح الشهوة والتوجيهات النبوية في هذا الصدد.

كما يتوجب تثقيف البالغ في هذه المرحلة بالحِكَم الكامنة خلف

الموضوع الجنسي برمته وتفصيله. من حيث أنه وسيلة لأهداف سامية هي: حفظ النسل البشري وتوالده واستمرار وجوده، وتوثيق عرى الأسرة بميول كل من الزوجين إلى الآخر، واتصاله جسديا في جو من المودة والرحمة والطمأنينة والعاطفة النظيفة؛ تكون قاعدة صلبة لبناء مجتمع قوي في علاقاته ومبادئه وأخلاقه وأعرافه ومثله وروابطه، كما تعد العلاقة الجنسية وسيلة تتعبد الله من خلالها، فأنت مأجور بإمساكها خارج إطار الزواج الشرعي الحلال، ومأجور كذلك في تصريفها في الحلال الذي أباحه الله لك، ففي الحديث الشريف الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه، وقد جاء فيه قول الرسول ﷺ: (**... وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْر**)[1].

وبما أن هذه الفئة من الشباب، هي الفئة الأكثر عرضة للتأثر بحملات التضليل والتشويه، التي تشن من قبل الغرب على المجتمعات المحافظة خاصة، وشعوب العالم الثالث بشكل عام، تقوم عليها جمعياتهم الإباحية، لتبث سمومها في أرجاء الدنيا؛ فيتوجب تسليح هذه الفئة من المجتمع بالتوعية التامة وكشف هذه المؤامرات من حيث الجهات القائمة عليها، وأهدافهم التي يسعون إليها، والأسباب التي تكمن خلفها، والوسائل والأساليب التي

(١) رواه مسلم.

يتبعونها لإيقاع الشباب فيها، والمخاطر التي سوف تؤدي إليها. ذلك أن هذه الفئة من الشباب هي الحلقة الأضعف في المجتمع عندما نتحدث عن الموضوع الجنسي، إذ أنهم في فورة الشهوة وعنفوانها من جهة، وفي سن تقل معه القدرة على ضبط النفس والتحكم فيها من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة لم تزل خبرتهم في الحياة قليلة وعودهم غض طري، في مواجهة كل ما يحاك لهم ويدبَّر، وما يجمع له من مال ويُرصَد، وما يجيش له من إعلام وُمكَر. فلا بد من الوقوف إلى جانبهم، نعضدهم ونساندهم ونحافظ عليهم ونحميهم، وإلا فإن مستقبل الأمة أصبح في أيدي أعدائها الذين لا يرحمون، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

التثقيف في مرحلة التهيئة للزواج:

وهذه المرحلة تتلو مرحلة البلوغ، لكنها مرتبطة بحدث معين، للإنسان الحرية في تحديد زمانه. فمصير كل بالغ بعد هذا الحدث "البلوغ" – على الأغلب – أن يتزوج، ليكّون أسرة مستقلة، فتلك سنة الحياة. ومن أجل أن تقوم هذه الأسرة – التي هي عماد المجتمع – على أساس متين؛ على كل من الزوجين أن يكون على وعي تام بأهمية هذا البناء الجديد، ومقومات قوته واستمراريته، والثمار المرجوة منه.

وقد أعجبنا ما تفرضه السلطات الماليزية على الشباب المقبلين على الزواج (ذكوراً وإناثا)، من الخضوع لدورات مجانية متخصصة

تعقد لهم؛ ليتلقى الشاب خلال هذه الدورة، كل المعلومات الشرعية الأساسية التي تؤهله ليكون زوجاً ناجحاً. ولا تتم إجراءات عقد القران إلا إذا كان يحمل شهادة تثبت حضوره لهذه الدورة المختصة، ونجاحه في امتحانها. تشرف الدولة على هذه الدورات، ويقوم عليها مختصون، وتعقد بشكل دائم على مدار العام.

ونؤكد هنا على ضرورة أن تطبق مثل هذه الإجراءات في كل الدول الإسلامية، سواءً من خلال الجهات الرسمية المعنية، أو مؤسسات المجتمع المدني التطوعية، وأن يتم تطوير مثل هذه الدورات، لتشتمل على موضوعات في التثقيف الجنسي، وأخرى في الصحة العامة، بالإضافة إلى الجوانب الشرعية: ومثال ذلك: أول لقاء بين الزوجين، آداب "ليلة الزفاف"، الإثارة الجنسية ومراحلها، ومحظورات الوطء، وما يوجب الغسل من الجماع ومقدماته، والممارسة الجنسية "بين الحلال والحرام" ومشكلاتها، والحمل والولادة، والصحة الإنجابية من منظورنا الاسلامي الثقافي "لا كما يعرضه الغرب"، مع بعض المبادئ الهامة في العناية بالطفل، وأسس التربية ومسؤولية كل من الأم والأب وأهمية تكامل دورهما، وحقوق كل من الزوجين وواجباتهما. وما شابه ذلك من موضوعات يتم إعدادها من قبل مختصين وخبراء في المجالات المختلفة: الشرعية والصحية والتربوية والعلاقات الأسرية وغيرها.

وقد نخص كلا الأبوين بدورة متخصصة قبيل الحصول على المولود الأول لهما، لتأهيلهما لدورهما الجديد في الحياة، حتى يكونا

المحضن المناسب لطفل سعيد ينشأ نشأة سليمة في ظل والدين واعيين، يعرفان دورهما بشكل واضح وسليم تجاه طفلهما، يقومان على رعايته وتربيته بوعي وإدراك. فكل الأمهات الجديدات، ربما يرتبكن عند إنجاب المولود الأول، بل منذ أيام الحمل الأولى؛ لعدم وجود الخبرة، فيلجأن إلى الأمهات والجدات، اللواتي ربين أبناءهن ربما في ظروف تختلف، وزمن مختلف، قد لا تناسب بعض وسائله، الظروف التي ولد فيها هذا المولود الجديد.

رابعاً: الجلسة القرآنية العائلية الأسبوعية

هذه نصيحة لكل أب وأم، أن يخصصا جلسة أسبوعية لجميع أفراد العائلة، بغض النظر عن تفاوت الأعمار. ليجلسوا إلى بعضهم، يجلس فيها الزوج إلى زوجته وأولاده، ذكورا وإناثا، يقرأون... ويتذاكرون.. ويتحدثون في شؤون الأسرة... والتخطيط للمستقبل، قبل فوات الأوان، فإن فائدتها تظهر بالاستمرار والمداومة والتبكير.

فلو عُقدت كل يوم جمعة، لمدة تتراوح بين الساعة إلى الساعتين، قُبيل الصلاة... لقراءة سورتي الكهف ويس، والمأثورات ... ثمّ تفسيرٌ لآياتٍ منتقاةٍ ثم قراءةٌ من رياض الصالحين، ثم قراءةٌ لأحد الأبناء من كتابٍ مختارٍ، مثل صفات الرسول - ﷺ - أو كتاب "ذوقيات المسلم" ... وما شابه ذلك، ثم سؤال الزوجة عن هموم الأولاد ومشكلاتهم خلال الأسبوع، لحلّها بالتحاور والتشاور بين الجميع، ثم لو تبعها إعلان سماح وعفو عن أي خطأٍ ارتُكب خلال

الأسبوع إذا ذكره صاحبه من الاولاد، شريطة عدم العودة إليه، ثم الاطِّلاع على العلامات وبرامج الامتحانات للتعاون في تيسيرها، ثم الختمة بالصلاة على رسول الله ﷺ مائة مرة.

الأمر بسيط لكنه يحتاج الى مثابرة وطول نفس، وستجد لذلك فوائد عديدة، منها أن يحفظ الجميع، صغارًا وكبارًا، سورتي الكهف ويس، والأدعية المأثورة، تلقائياً مع الوقت. ثم سماعهم تفسير العديد من سور القرآن الكريم، ثم مجموعةٌ كبيرةٌ من الأحاديث النبوية الشريفة. علاوة على ما يُناقش من كتب، كما سيعتاد كل واحد منهم ألا يخرج من البيت إلّا وهو على وضوء، مع حفظ أدعية اليوم والليله.

والأهم من ذلك أن الاعتياد على هذه الجلسة، يخفف هموم الزوجة، ويحلُ مشاكل الأولاد أولاً بأول. ثم التعود على الحوار منذ الصغر ... وطرح الآراء ... والتكلم أمام الآخرين ... علاوة على تصحيح المفاهيم الخاطئة، التي يمكن التقاطها من المدرسة أو الشارع. ثم إعطاء الجوائز التشجيعية على التفوق وحفظ القرآن الكريم، بحيث يصبح كل عضو في الأسرة مطَّلعاً على برامج الآخرين لمزيد من التعاون في تنفيذها. ولمزيد من الجذب وتحبيب الأبناء بهذه الجلسه يجب أن تنتهي بغداء شهي، أو رحلة ترفيهية إلى مكان يحبونه.

هذا سيجعل الأمر من المسلمات، عند الأبناء والبنات، أن يستمروا على مثل هذه الجلسة في بيوتهم بعد الزواج والاستقلال. وهذا سيجعل من الأمر سنة حسنة، يأتي الوالدين خراجها في كل حين. فكيف إذا

نقلها كل واحد إلى أبنائه وأحفاده؟ لا شك أن وراء الأمر خيراً عميماً، عاجلا يظهر على أولادك، وآجلا ياتيك خيرها بعد مماتك.

وعلاقة هذه الجلسة الإيمانية بالتثقيف الجنسي كبيرة، إذا أُحسن استغلالها من قبل الوالدين. فمثلا إذا قرأنا قول الله تبارك وتعالى على لسان مريم العذراء: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[1]، فأعطيت هذه الآية الكريمة للولد وللبنت أن يأتيا بتفسيرها في الجلسة القادمة؛ فسيجتهد كل منهم في ذلك. فإذا جاء الموعد القادم ناقش الأب ابنه في معانيها، والأم مع ابنتها، والنتيجة أننا سنجدهم قد عرفوا المعنى إما تماما، فنثني عليهم، أو جزئيا، فنكمله نحن لهم كل على حدة. فيعرف الطفل أن المرأة لا تلد إلا إذا كان لها زوج. إلا في هذه المعجزة بقدرة الله تبارك وتعالى، وهكذا مع الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2] فيعرف الأطفال معنى الزنا. وغيره الكثير من الآيات الواردة في القرآن الكريم، يعرفون كل ذلك في ظلال القرآن الكريم، في جو من الجدية بل والقدسية التي تربط الطفل بقرآنه، فيعرف الحرام ويبتعد عنه، ويعرف الحلال فيأتيه.

وكذلك أحاديث المصطفى ﷺ، وهي بالمئات، تتحدث عن الزوج والزوجة، وما بينهما من علاقات، خاصة الجنسية منها. فإذا عرف الاولاد بعض ذلك من خلال هذه الجلسة المتكررة وفي مثل

---

(١) مريم ٢٠.

(٢) الإسراء ٣٢.

هذه الاجواء الإيمانية، فلا شك أن الزمن كفيل بتراكم المعلومات المفيدة، التي ترضي الله ورسوله الكريم. وتساعد فلذات الأكباد على معرفة متسلسلة سليمة، في جلسات تحفها الملائكة وتتنزل فيها شآبيب الرحمة، تساعدهم وهم في طريقهم الى بلوغ آمن، فيحفظ الله عليه مراهقته، ويكون له شأن كبير عند الله تبارك وتعالى.

هذه الفوائد لا تُجنى من جلسة يتيمة أو اثنتين، أو جلسة في الشهر... بل لا بد من الاستمرار فيها ... والمداومة عليها أسبوعيا ... مهما كان عمر الطفل صغيراً ... أو عمر الأب كبيراً ... فلا بد أن تبدأ ... ولا بد من كسر حاجز التردد ... ومقارعة الشيطان... والإسراع في الالتزام بها ... فأفراد الأسرة جميعا بحاجتها... وفوائدها عظيمة للأبناء والآباء والأمهات... على حد سواء ...

لقد ثبت أن لا شيء يجلب السعادة في هذه الحياة للوالدين بعد الإيمان، مثل الولد الصالح والبنت الصالحة. كما ثبت من مشاهدات الواقع الكثيرة أن المال والجاه والمنصب أمور زائلة، ولا تجلب سعادة وحدها ... فكم من غني ليس بسعيد، وكم من مشهور يحسبه الناس سعيداً فتنتهي حياته بالانتحار، إذن فما بال الآباء منشغلين عن أولادهم ليلا ونهارا، هذا بشركاته وآخر بتجاراته ... حتى أصبحت تربية أبنائنا ليست نتاجنا، بل نتاج الخادمات والإنترنت والفضائيات ... والحصيلة: تراجع يتلوه تراجع، مع مزيد من الانفلات والانحلال.

يخبرنا أهل الاختصاص أننا نحصد سلوكاً من أبنائنا في سني

مراهقتهم كإنعكاس لما زرعناه فيهم في السنوات الست الأولى من حياتهم ... فماذا زرع الأب المشغول ليلا ونهارا – لجمع المزيد من المال – في نفوس أبنائه حين يُغادرهم في الصباح الباكر وهم نيام، ويعودُ إليهم في ساعة متأخرة وهم نيام أيضا؟! وماذا زرعت الأم المشغولة بعملها ومكياجها وموضاتها، وسلمت الأمر كله للخادمات؟! والنتيجةُ مزيد من الميوعة والفساد الأخلاقي، والعقوق والتفكك الأسري وخراب البيوت ...! وفي النهاية ندم متأخر ... ولات حين مندم.

فهذه قصة من الواقع، لشاب عربي مسلم هاجر الى بلاد في اقصى الشرق، قبل أكثر من نصف قرن، حيث كانت تلك البلاد بكرا، ومجال العمل فيها متيسر ومفتوح على مصراعيه، انهمك بالعمل، ثم تزوج، ورُزق بابنتين، كما رُزق مالا كثيرا حتى أصبح مليونيرا معروفا، لكن هذا المال الذي جمعه بكده وعرقه كان يشغله دائما عن صغيرتيه، وبعد ان تجاوزتا سن البلوغ، تفاجأ والدهما بغيابهما عن البيت! ودُهش لدرجة الصدمة عندما وجدهما قد تركتا رسالة موقعة منهما، تُفيد بأنهما قررتا ترك البيت الى الأبد ليعيشا وحدهما بحرية تامة، بعيدا عن والديهما وعلى طريقتهما الخاصة....!! وحسب قوانين تلك البلاد، فهذه تُعد حرية شخصية، لذلك لايستطيع أحد – بحكم القانون – اجبارهما على غير ما يريدان ... ولكم أن تتصوروا حال هذا الوالد المسكين ... وهو يزفر بشكواه المريرة التي يقول فيها: «ليتني أعود فقيراً كما كنت وتعود ابنتاي

إلى حضني وبيتي»...! فالانشغال في جمع المال، وترك الأبناء وهم صغار لا يُفيد، بل يعودُ بالحسرة والندامة على الوالدين؛ بسبب ضياع الأبناء، ثم على المجتمع بشكل عام.

والنصيحة المبذولة للآباء والأمهات: أن استفيدوا من هذه الجلسة غير المكلفة قبل فوات الأوان. وانصحوا لأبنائكم وحذّروهم مما يضرهم.... فما أجمل ان يسمعوا مثلا النصائح المنسوبة للإمام علي كرّم الله وجهه وهم في سن صغيرة لتُساعد في نضجهم المبكر ومنها مثلا: «كن على حذر من الكريم اذا اهنته، ومن العاقل اذا احرجته، ومن اللئيم اذا اكرمته، ومن الأحمق اذا مازحته، ومن الفاجر اذا عاشرته،... وإني ذقت الطيبات كلها فلم اجد اطيب من العافية، وذقت المرارات كلها فلم اجد امرّ من الحاجة الى الناس، ونقلت الحديد والصخر فلم اجد اثقل من الدين،... واعلم بأن الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فلا تضجر، فأصبر فكلاهما سينحسر ...،

خامسا: قصص لمساعدة الآباء والأمهات في تثقيف الأبناء جنسياً

لقد أدركنا من خلال عملنا في مشروع وقاية الشباب، مدى حاجة مجتمعاتنا الاسلامية الى برامج جادة في التثقيف الجنسي، مستلة من وحي عقيدتنا، وملائمة لبيئتنا وعاداتنا وتقاليدنا. لأن كم المعلومات المخطوءة عند اليافعين والشباب، وحتى بعض المتزوجين والمتزوجات، كبير ولا بد من تصحيحه. وأفضل تصحيح وأهونه

وأكثره جدوى، هو ما كان منذ الصغر. حيث يكون الطفل صفحة بيضاء ناصعة، وأكثر تقبلا وتأثرا، ولذلك لا بد أن يبادر الوالدان لاغتنام هذه الفرصة لتأسيس الاطفال على مفاهيم صحيحة سليمة. قبل ان يأخذها الطفل مشوهة من غير مصدرها السليم الآمن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]، فالوالدان عليهما مسؤولية عظيمة في ذلك، كيف لا وهما الأقرب إلى الطفل، فمعهما يُصبح ومعهما يُمسي، والرسول العظيم يقول: **(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه)**[2].

وقد وجدنا تهيباً كبيراً من الأباء ولأمهات على حد سواء، بل حرجاً كبيراً في طرح هذه المواضيع ومناقشتها مع ابنائهم، ونفس الشيء عند المعلمين والمعلمات مع طلابهم وطالباتهم.... ولذلك ضاع الابناء في هذا الجو المتردد، المتدثر بما يظنونه رداء الحياء. علما ان الدراسات قد بينت أن أكبر مصدر لتلقي هذه المعلومات هو من الاصدقاء...!! وفاقد الشيء لا يُعطية !! كما بينت أن دور الوالدين في التثقيف الجنسي للأبناء كان أقلها على الإطلاق ...!! ولقناعاتنا الراسخة بأن الاسلام قد وضع لنا أسساً؛ لتهذيب النفس البشرية

---

(١) النحل ٧٨.

(٢) متفق عليه.

من مهدها إلى لحدها، صالحة لكل زمان ومكان. ما التزم بها قوم إلاّ هُدوا إلى سواء السبيل، فكانت مجتمعاتهم فاضلة، أطفالهم رجالٌ، ورجالهم شباب، يسابقون الزمن في عمل الخير، طمعاً في الأجر والثواب. يشعرون بأن خدمة الإنسانية في مكافحة هذه الآفات فرض عينٍ عليهم، بحكم تكليف الله لهم واستخلافهم في الأرض.

وقد وفقنا الله -تبارك وتعالى- في مشروع وقاية الشباب لإنجازات فاقت توقعنا، وأصبح لهذا المشروع متطوعون في كل الأوطان والأصقاع. وقد أدخلنا موقعنا على الإنترنت إلى أماكن لم نصلها بعد، ولم نعقد بها دوراتنا التدريبية المجانية... فكان من ضمن متطوعينا المربية الفاضلة القاصة بسمة الخاطري من سلطنة عُمان، التي نذرت نفسها ومواهبها وجهدها لخدمة الطفولة... فكانت لها سلسلة من القصص التربوية الهادفة. وتحققت بذلك أمنية غالية، وهي أن يبعث الله لهذا المشروع من يساعد في وضع القصص الهادفة؛ لإدخال مفاهيم الثقافة الجنسية للأطفال واليافعين، بلغة عربية سليمة، وتحت مظلة شرعية صحيحة، متوازنة، لا إفراط فيها ولا تفريط، مصدرها الآيات الكريمات، وأحاديث المصطفى – عليه الصلاة والسلام – حتى قيض الله لنا هذه المربية الفاضلة. فكانت هذه السلسلة، «لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة» في أربعة أجزاء، وقد لاقت قبولا كبيرا. فطُبع منها عشرات الالآف، وهي توزع مجاناً – كغيرها من مطبوعات المشروع – على الشباب والأطفال والمهتمين والمربين. علاوة على رفعها على موقعنا، وغيره

من المواقع والمدونات المختلفة. كما لاقت قبولا كبيرا لدى المسلمين الناطقين بغير العربية، لذلك تطوع الخيرون منهم لترجمتها الى اللغة الإنجليزية والأندونيسية. آملين أن نساهم مع غيرنا في درء الخطر عن فلذات أكبادنا، لأن الشيطان وفضائياته وأعوانه يتربصون بهم ليل نهار، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وقد قصدنا من هذه السلسلة المبسطة أن نضعها بين أيدي أطفالنا، كل حسب عمره، فهي تصلح لمن كان عمره ما بين السابعة والثالثة عشر، خاصة إذا تبع قراءتها الفردية نقاش الولد مع والده في بعض محتوياتها، ونقاش البنت مع أمها لمزيد من الفهم والتوسع. كما قصدنا أن نشجع الأم المترددة المتحرجة من الكلام في هذا الموضوع مع ابنتها، وكذلك الأب. وقد أدركنا بعض ما نريده ولله الحمد، حسبما أفادت به التغذية الراجعة. وحسبنا أننا قد وضعنا اللبنة الأولى في هذا المضمار، تاركين التفصيل والتحسين لأهل الاختصاص، من التربويين وعلماء الشرع الحنيف.

ونكتفي هنا بإلقاء نظرة سريعة على العناوين الفرعية، التي طُرحت في هذه السلسلة لتتجرأ أكثر للحديث فيها مع الأبناء، ولتفتح باب الأسئلة والاستفسارات في أجواء إيمانية، وظلال من القصص القرآني التي نحب أن نربط الطفل بها منذ نشأته. وهذه العناوين متسلسة من الأبسط الى البسيط: ففي الجزء الأول من قصة لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة، كانت هذه العناوين الفرعية:

- الجلسة العائلية
- قصة من القرآن الكريم
- أمراض جنسية جديدة
- التوجيه والإرشاد
- رفقاء السوء
- الإنترنت والأطفال
- التحرش الجنسي
- الأقراص المدمجة
- التقليد الأعمى
- التثقيف الجنسي

أما الجزء الثاني من هذه السلسلة: فقد كان التركيز فيه على ترسيخ بعض المفاهيم الجديدة في الثقافة الجنسية عند الاطفال، الذين هم شباب المستقبل وعدته، بمظلة شرعية ولغة سليمة ومفاهيم صحيحة. وقد شجعنا ما لاقاه الجزء الأول من اهتمام منقطع النظير، ليس من الاطفال فحسب ولكن من الاباء والامهات على حد سواء. ونحن في مشروعنا التربوي الوقائي، نبدأ مع الطفل منذ ولادته، ولا نتركه إلا وقد قدمنا له كل ما نستطيع، في المراحل المختلفة لنموه الجسمي والعاطفي، ليبحر بسلام في هذا المحيط المتلاطم، آملين ان يصل شاطئ الطهر والعفاف بسلام، ويعيش «فيه الحياة الطيبه» والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين. والعناوين الفرعية التي ضمها الجزء الثاني هي:

- قصة سيدنا يوسف
- البئر العميق
- الابتلاء الجديد
- يحيا العدل، يحيا العدل!
- معاذ الله !!
- جزاء الصابرين
- حارسة المعبد
- مريم البتول
- الطفل المعجزة

وهكذا قضت سنة الله في خلقه، نمو بطيء، وتطور تدريجي، من مرحلة الطفولة إلى البلوغ، حيث التكليف وما يترتب عليه... مرحلة حساسة ودقيقه تحتاج إلى مربين، يجتمع فيهم رحيق الخبرة وحنان الأبوة وحُب الشباب. ففي مرحلة الاحتلام والجنابة والنشاط الجنسي والعاطفي، إن يسّر الله للشباب من يأخذ بأيديهم إلى الخير ودروبه، كان لهم ولأمتهم شأن عظيم، وإن كانت الأخرى فلن يجدوا إلا الإدمان والإيدز والضياع وهدر الطاقات.....

وهذا الجزء الثالث من هذه السلسلة المباركة «مفاهيم في الثقافة الجنسية للأطفال في ضوء الشريعة الإسلامية» هو لمساعدة هؤلاء الشباب في هذه المرحلة الحساسة، بل لمساعدة الآباء الذين يخجلون أن يناقشوا هذه الأمور مع فلذات أكبادهم. فلا يفيقون إلّا على أّناتهم بعد فوات الأوان، ولات حين مندم !!، والمواضيع التي طرحناها في هذا الجزء هي:

- المراهق الصغير
- المدرسة والبيت
- جلسة خاصة جداً
- البلوغ والتكليف
- شارب ولحية
- خمس من الفطرة
- صلاة الجمعة
- الاحتلام والرجولة
- اغتسال الطهارة
- العادة السرية

أما الجزء الرابع من هذه السلسلة، التي تسير باليافعين نحو بلوغ آمن، فقد خاطبت الفتيان والفتيات، الذين وضعوا القدم الأولى في دائرة البلوغ. الذي يُرتب عليهم تكاليف تعبدية مهمة. ومع أن هذا الجزء موجه أكثر للبنات في هذه المرحلة الحساسة، إلاّ أن نصيب الأمهات فيه كبير، ليجدن من خلاله الشجاعة الكافية لمناقشة تطورات البلوغ والتكليف وما يترتب عليها من كمال العبادة مع فلذات أكبادهن من البنات. فسبحان من خلق البنات والبنين، وجعلهم قرة عين وزينة للحياة الدنيا، وصلى الله على علم الهدى ومنارة الخلق والتربية، الذي جعل إحسان تربية البنات خاصة، مدخلا الى الجنة وحرزا لوالديهم من النار.

البنات ... هذا الظل الخفيف، والقلب الرقيق الحنون

وإلاّحساس المرهف – خاصة في مرحلة البلوغ وسن التكليف – لا يستوعبه إلاّ حضن دافىء وقلب كبير. امتزج فيه الحنان والغيرة والمعرفة وسعة الصدر وحسن التصرف ... وهل نجد ذلك إلاّ عند الأم ؟! هذا المخلوق الذي عزّ نظيره حباً وتفانياً وإيثاراً. وقد احتوى هذا الجزء على ما يلي:

- زيارة خاطفة
- هموم خاصة
- جلسة خاصة جدا
- البلوغ والتكليف
- خمس من الفطرة
- خوف بسبب الجهل
- الاحتلام والجنابة
- الاغتسال والطهارة
- العادة السرية
- الحيض
- الأم خير صديق
- سامحني يا رب !!

هذه سلسلة لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة، بسيطة وسهلة، وتعطي دافعية للوالدين أن يتكلموا مع فلذات اكبادهم حول هذه الأمور الحساسة، أو يضعوها على الأقل أمامهم ليستفيدوا منها قبل فوات الآوان. فالأمور الجنسية وإغراءاتها هي أكثر ما يتاجر

به الخصوم ... ونتيجة انشغالنا عن ابنائنا وإهمالهم خاصة في الصغر ... يقع المحذور الذي يفسد علينا سعادتنا وربما آخرتنا.

سادساً: الأدب «الإتيكيت» الإسلامي في المعاشرة الزوجية

لَمَّا كان الزنى طريقاً منحرفاً لتصريف الطاقة الجنسية، لما يؤدي إليه من اختلاط للأنساب، وانهيار للأسر والمجتمعات، وانتشار للأمراض، وطغيان للرذائل، واندثار للفضائل، فإنه بحق عدوان على الفطرة البشرية السليمة، وعدوان على الأسرة في التآلف والمودة والطمأنينة والاستقرار، وتخريب ظاهر للمجتمع الذي يقوم على الفرد أولاً والأسرة ثانياً.

ولما كان من نتيجته أمراض جنسية خطيرة، تتصدر قوائم الأمراض السارية، تحطم الأفراد وتأتي على المجتمعات. رأينا أن الأديان السماوية تجمع على تحريمه ومحاربته، وبالذات الدين الإسلامي الذي شدد في النهي عنه والاقتراب منه، لما يؤدي إليه من مشاكل ضارة، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1] ويقول أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

(١) الإسراء ٣٢.

﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[1].

والإسلام إذ يحرم الزنى وما يؤدي إليه، يبتغي من وراء ذلك بناء المجتمع الفاضل. الذي يتفيأ الفرد ظلاله، منسجماً مع نفسه والكون من حوله، ليثمر الأسرة القوية المترابطة، والمجتمع المتوازن النظيف. وهو في سبيل ذلك يرسي من القواعد والأسس ما يكفل تحقيق هذه الغاية، فهو عندما يحرم سلوكاً ما لا يعتسف الأمر، إذ يدرك مسبقاً آثاره السيئة على الإنسان الذي خلقه على هيئته في أحسن تقويم. فهو عندما يحرم الزنى مثلاً يدرك آثاره المدمرة على الفرد والمجتمع، لذا فقد شدد في تحريمه والنهي عنه، وتوعد فاعله والمجتمع الذي يشيع فيه بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة. لذا رأيناه يحرمه ويحرم كل ما يفضي إليه، سداً للذريعة، فهو يحرم كل مقدماته ودواعيه من تبرج جاهلي، وخلوة آثمة، واختلاط عابث، وصورة عارية وأدب مكشوف وغناء فاحش. وبالمقابل فهو يسعى جاداً إلى إشاعة الجو الاجتماعي النظيف والبيئة الطاهرة الخالية من كل مغريات تؤدي إلى الوقوع في المنكر، ليتفرغ الناس للعمل الجاد المثمر.

وهو في سبيل ذلك بدأ في الفرد فأحسن تربيته، وغرس في نفسه ميزاناً حساساً يزن فيه كافة أعماله، وواعظاً ذاتياً يحبب إليه الخير وينفره من الشر. ثم أسس الأسرة الكريمة على أساس الزواج الشرعي، وأضفى عليها جواً من السكينة والمودة والرحمة والترابط،

---

(١) الفرقان ٦٨-٦٩.

ثم انتهى بالمجتمع، فأرسى له الضوابط والقواعد، والأسس الوقائية التي تسد منافذ الشيطان. فحرم كل علاقة جنسية تقوم على غير الزواج، وحرّم كل قول أو فعل، يفتح نافذة إلى علاقة محرمة، لذلك فتح الباب على مصراعيه للزواج، ودعا إليه وشجعه وسهّل أمره، ونهى عن التبتل والكبت. فلا يحل للمسلم أن يُعرض عن الزواج مع القدرة عليه، بدعوى التبتل إلى الله، أو التفرغ للعبادة والانقطاع عن الدنيا.

فقد علّم رسول الله ﷺ المسلمين عندما قال: **(... إنما أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له. ولكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[1]. ولم يترك الإسلام فرصة إلا وحض فيها على الزواج، حض على تسهيله وتيسيره دون عراقيل أو قيود. لأنه الحل العملي، والطريق الفطري السليم لإفراغ الشحنة الجنسية، فقد وجه عليه الصلاة والسلام نداء إلى الشباب عامة، فقال: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**[2].

والإسلام، لاعتبارات إنسانية هامة فردية واجتماعية، أباح للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة شريطة العدل، حتى يُشبع هذه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

الغريزة المهمة، ويغلق كل المنافذ الشيطانية التى يمكن أن يتسلل منها، لإغوائه بالفاحشة. وغني عن الذكر، بل والتذكير بأن هذه الغريزة هي عند المرأة كما هي عند الرجل، لذلك لا بد من إشباعها من خلال الزواج عند الطرفين على حد سواء. وهذا قد يغيب ذلك عن بعض الأزواج، جهلا من عند أنفسهم، خاصة أن وصول الرجل الى النشوة أسرع منه عند المرأة. وتسكت المرأة بسبب حيائها، فتتراكم هذه الحاجة النفسية الملحة.... وتبدأ المشاكل دون سبب ظاهر، ويفعل الشيطان فعله ... ويقع المحذور في غياب الازواج، وتنتشر الممارسات الجنسية المحرمة، خاصة في أجواء الاختلاط والانفتاح والتحرر ... وهذا هو السوس الذي ينخر عظم المجتمع.

ومن المفيد أن نذكر ما توصل إليه علماء الاجتماع واختصاصيو الغدد الصم في الغرب، من أن المرأة تمر في خمس مراحل في حياتها، لكل منها خصوصيتها، فإذا فهمها الزوج استطاع أن يفسر الكثير من تصرفات المرأة، ويتفهم احتياجاتها:

أولها سن الخصوبة: ويقع ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، وفيه تكون أكثر حباً للزواج، وأسرع حملاً، وأكثر شهوة.

وثانيها مرحلة الأمومة: وهي تقريباً بين الخامسة والعشرين والثلاثين، وفي هذه الفترة تكون المرأة أكثر ميلاً للعناية بأطفالها، قليلة الشهوة، ولكن تمارسها ارضاءً لزوجها، لدرجة أن كثيراً من الأزواج يشعرون بشيء من الإهمال من قبل زوجاتهم.

وثالثها مرحلة الجنس: وهي من الثلاثين إلى الأربعين،

وخلالها تفور المرأة جنسياً، وتكون أكثر المراحل استمتاعاً بالجنس في حياتها، فتلتفت خلالها أكثر إلى نفسها وإلى زوجها.

ورابعها مرحلة المراهقة الثانية والتأقلم: وهي مرحلة خطيرة في حياة المرأة وخاصة في الغرب، حيث تبدأ علامات الكبرعندها بالظهور أولاً بأول، يرافق ذلك سيل من التفسيرات السلبية المتوهمة، سيما وأن الزوج في هذا العمر يبدأ بالتراجع الجنسي؛ فتتوهم بأنه يهملها ويبتعد عنها ... ولذلك تكون بأمس الحاجة إلى إظهار التقدير والحب والحنان والرحمة والسكن، أكثر من حاجتها إلى الجنس ... فإذا لم تجد هذا التقدير عند زوجها، ووجدته خارج البيت، عند غيره، ربما مالت ولانت وضعفت، لا بحثا عن الجنس ولكن عن التقدير والاحترام ... وهنا تقع الطامة الكبرى، فيكثر الطلاق وتتفكك الأسر، وهذا ما أشارت إليه الكثير من الدراسات عن الواقع في الغرب.

وخامسها مرحلة الجدة «جامعة الأحفاد»: وهي مرحلة تعيد الكثير من السعادة والبهجة والحرارة إلى نفوس الكبار في بيوت العوائل المحترمة، خاصة في بلادنا العربية والإسلامية، علماً أن هذه العلاقة الحميمة بين الجدة وأحفادها غير موجودة في الغرب، فطبيعة الحياة عندهم أخرجت الجدات من التداول، وكأن الواحدة منهم في هذه المرحلة أصبحت تعد أيامها للتلاشي، ولا مكان لها إلا مأوى العجزة ... مما أدى إلى الشعور بالمرارة من هذه النهاية المؤلمة، فزادت أحزانها وكآبتها ومآسيها ... كما زادت حالات الإنتحار.

ولأن رسولنا العظيم لا ينطق عن الهوى، ولا يُحب لأتباعه إلاّ الخير والسعادة، في كل مراحل الحياة، حذر من كل ما يعكر صفو العلاقة بين الزوجين أشد التحذير، ووضع لنا من التعليمات الكاملة، التي إذا طُبقت تماما، كنا أبعد الناس عن الخلل والزلل والفتور والتناحر ... فالأسلوب الاسلامي يعتمد الوقاية من الاساس، لأن الوقاية دائما وأبداً خير من العلاج. لهذا وضع رسولنا الكريم للزوجين جملة من الأمور والتعليمات؛ لضمان حياة زوجية كريمة ومتعة حقيقية في كل المراحل، تنقلهم من سعادة إلى أخرى، وتمنع ظهور أي من الآثار السلبية سالفة الذكر، ومن هذه التعليمات ما يلي:

التّجَملُ وإصلاحُ الهيئة:

يجب أن تنتبه الزوجة دائما لمظهرها، فلا يقع نظر الزوج إلا على ما يسره ويبهجه منها، لأن ذلك يسد بعض الحاجات النفسية الصامتة عنده، وتديم حبل الانجذاب المطلوب بينهما. فلا يعقل أن تكون الأنثى بأبهى مظهر وأحسنه، حتى إذا تزوجت وفازت بفتى الأحلام، أهملت مظهرها بحجج مختلفة! ونفس الشيء ينطبق على الزوج، وللحفاظ على ذلك ودوامه، أرشدنا ﷺ لما يضمن استمرارية الإنجذاب والإرتواء النفسي، فعن جابرٍ رضي اللهُ عنهُ قال: **(كنّا مَعَ النّبي ﷺ في غزوةٍ فلمّا قدمنا المدينة ذهبنا لندخُلَ فقالَ: أمهلونا حتى ندخُلَ ليلاً لكي تُمشطَ الشّعثةُ وتَسْتَحِدُّ المُغيِّبةُ)**[1].

(١) متفق عليه.

والحكمة من هذا التأخير واضحة. وهي إعطاء الزوجة التي غاب عنها زوجها مزيدا من الوقت، حتى تتجمل لزوجها، وتمشط شعرها وترتبه. ليس هذا فحسب، بل أوضح رسول الله ﷺ المزيد، عندما قال: وتستحد المغيبة. أي مزيداً من الوقت، للزوجة التي غاب عنها زوجها؛ لتزيل شعر العانة ... مزيداً من النظافة والتجمل للزوج!! كل ذلك للحفاظ على هذا الرباط العظيم، والجنة المصغرة، والأسرة الكريمة .... والنظافة والتجمل لازمة للمسلم حيثما كان، وخاصة إذا قدم من سفر، فالتجمل ليس للزوجة فقط ولكن للطرفين على حد سواء. قال ﷺ لأصحابه، وكانوا في سفر قادمين على أهليهم وإخوانهم: **(إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش)**[1].

المرسال:

العلاقة الحميمة بين الزوجين ليست حركات ميكانيكية، مجردة من الأحاسيس والمشاعر، وكأنها تؤدى آلياً ... بل هي نتيجة تفاعلات نفسية، ومشاعر ونظرات وكلمات رقيقة، تهيئ الجو لمثل هذه الممارسة المشروعة، لتؤتي أحسن ثمارها من المتعة الحلال. يقول رسول الله ﷺ: **(لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة،**

(١) رواه أبو داود.

وليكن بينهما رسول، قيل: ما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام)[1].

الدعاء الخاص بالمعاشرة:

أمر ميسور ونتيجته عظيمة «ولد لا يضره شيطان»، راس مال ذلك نية سليمة واستحضار لنعمة الله وقدرته ... يُمضي الوالدان السنين الطوال ويبذلان الجهود المضنية لإبعاد الشيطان عن الأبناء. ورسولنا العظيم يدلنا على أقصر الطرق وأفعلها. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَارَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا)**[2]. وفي تفسير معنى قدموا لأنفسكم في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[3]، قال ابن عباس وعطاء: أي قدموا ذكر الله عند الجماع، وأشار التفسير إلى الحديث السابق[4].

---

(١) رواه الديلمي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) البقرة ٢٢٣.

(٤) تفسير القرطبي.

مراعاة حق الطرفين:

وللحفاظ على استمرار توازن طرفي المعادلة في الأسرة، لا بد من أن يُشبع كل منهما الآخر. فهذا حق يجب أن يؤدى للشريكين، ليكون الارتواء والإشباع. وتنصرف بعدها الجهود والأفكار للبناء والتربية. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا، ثُمَّ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا فَلا يُعْجِلْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا)**[1].

المعاودة:

يتفاوت الناس في قدراتهم الجنسية، وهذا أمر طبيعي، فمنهم من لا يرتوي من ممارسة واحدة، وهذا حقه، وبالتالي ينشد مزيدا من الاستمتاع، ولأن على كل متعة ضريبة، فإن الضريبة الاسلامية غالبا ما تكون مزيدا من النظافة، لتكون خيرا على خير مثل غُسل الجنابة مثلا، وكذلك الأمر إذا أراد أحد الزوجين المعاودة، قال رسول الله ﷺ: **(إذا أتى أحدكمْ أهلهُ ثمَّ أرادَ أنْ يعـودَ فليتوضـأ بينهما وُضوءاً فإنَّهُ أنشطُ للعَودِ)**[2]، وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا جامع الرجل أول الليل، ثم أراد أن يعود، توضأ وضوءه للصلاة)**[3].

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

الاغتسال أو الوضوء قبل النوم:

ومن الآداب التي وضعها لنا رسول الله ﷺ، هي الوضوء أو الاستحمام بعد الجماع، وقبل أن يأوي الى فراشه للنوم، فعن عبد الله بن أبي قيس قال: (**سألت عائشة رضي الله عنها... قلت: كيف كان يصنع في الجنابة، أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة**)[1].

تحريم الحديث في أسرار المعاشرة الزوجية:

من الناس من يتكلم فيما يلزم وفيما لا يلزم، فيما يعرف وفيما لا يعرف، فيكثر سقطه وخطأه. ومنهم من يستر الله عليه فيأبى إلا أن يفضح نفسه، ويتكلم في أخص خصوصياته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه**)[2]. ونعيد ما أوردناه في فصل سابق من هذا الكتاب (يحسبونه حياءً)؛ لمزيد من التأكيد والتذكير، حيث أشرنا إلى أن (الحياء السوي يفرض الصمت الكامل في مجالين لهما علاقة بالأمور الجنسية الخاصة:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

الأول: هو مجال أسرار المباشرة الزوجية، فهذا أمر خاص جداً، لا يجوز لأحد الحديث فيه بأي حال من الأحوال. ولا يُطرح إلا بين الزوجين فقط لا غير. فهي أسرار تخصهما دون غيرهما، مهما بلغت درجة قرب أو قرابة الآخرين.

والثاني: هو مجال العبث واللهو، والتسلي والوصف والتندر، بأمور تتعلق بالمتعة الجنسية. مما يُزيح عنها رداء الصون والعفاف، ويعرضها للابتذال. هذا فضلاً عما قد يثيره مثل هذا الكلام من الشهوة، لا سيما عند الآخرين.

وقد نهى رسولنا الكريم عن ذلك نهيا قاطعا حيث جاء في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(صلى بنا رسول الله، ﷺ، فلمّا سلّم أقبلَ علينا بوجهِه فقال: مجالسَكم، هل منكم الرجلُ إذا أتى أهلهُ أغلقَ بابَهُ وأرخى سِتْرهُ ثُمّ يَخْرُجُ فيُحدِّثُ فيقولُ: فعلتُ بأهلي كذا وفعلتُ بأهلي كذا؟ فسكتوا. فأقبل على النساء فقال: هل منكن من تُحدِّث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها، فقالت: إي والله إنَّهم يَتحدثون وانَّهُنّ ليتحدثْن. فقال، عليه السلام: هل تدرون ما مَثَلُ من فعل ذلك؟ إنَّ مثل من فعلَ ذلك مثلُ شيطانٍ وشيطانة لقي أحدُهُما صاحبَهُ بالسِّكة فقضى حاجتَه منها والناس ينظرون)**[1].

(١) رواه أحمد وأبو داود.

كيف تحفظ ابناءك من العادة السرية؟

تمهيد:

لقد بين الله تعالى لعبادة الممارسات الجنسية المسموح بها «الحلال»، ورغب بها وحث عليها قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]. وحصرها في العلاقة الزوجية، وعد ما كان خارج هذا الإطار من العدوان «فهو حرام» قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[2].

وحتى العلاقة الزوجية لا تجوز فيها الممارسات الجنسية الشاذة، في غير موضع الحرث «الفرج»، قال تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]. كما حرمها في الظروف التي تؤدي إلى الضرر لكلا الزوجين «في فترة الحيض»، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ

---

(١) الروم ٢١.

(٢) المؤمنون ٥-٧.

(٣) البقرة ٢٢٣.

﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

ومن نافلة القول الحديث عن حرمة العلاقات الجنسية بين الذكور «فعل قوم لوط»، وبين الإناث «السحاق»، أو ما يسمونهم أحاديي الجنس، أو المثليين. قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[2].

فهذه أمور جاءت الأحكام فيها واضحة ومباشرة: قطعية الدلالة، بنص القرآن الكريم: قطعية الثبوت. لا مجال فيها للموارية، ولا الاجتهاد. وما ذلك إلا لدقتها، وأهميتها وحساسيتها، وخطورتها على الفرد والمجتمع. وهي من الأمور المعلومة لدى الصغير والكبير من عامة الناس، فضلاً عن خاصتهم وأهل العلم منهم. ولا نرى أنها تحتاج إلى الكثير من النقاش في هذا المقام؛ فقد تم تغطيتها بشكل أكثر تفصيلاً في كتابنا مبادئ الوقاية في الإسلام.

أما موضوع الاستمناء، والمعروف باسم العادة السرية، فهو من الممارسات الجنسية التي قد يلتبس الأمر فيها، وقد تكون من المشتبهات التي تحتاج إلى النقاش المطول، والتوضيح المفصل، بل تأخذ أحكاماً مختلفة باختلاف الحال. لهذا أفردنا له هذا الفصل، وخصصنا له بحثاً مستقلاً؛ آملين أن نلقي الضوء عليه من مختلف جوانبه، لنخرج منه بتصور واضح، وقناعة مبنية على أسس علمية، وحقائق واقعية.

---

(١) البقرة ٢٢٢.

(٢) الأعراف ٨٠-٨١

المقدمة:

عُرفت العادة السرية بأسماء متعددة مثل: الاستمناء، وجَلْدُ عُمَيْرَة، والارتضاء الذاتي، ونكاح اليد. كما وردت عدة صيغ لتعريف هذه الممارسة منها:

* فعلٌ اعتاد الممارس القيام به في معزل عن الناس مستخدماً وسائل متنوعة محركة للشهوة، أقلها الخيال الجنسي، وذلك من أجل الوصول إلى القذف.
* العبث بالأعضاء التناسلية بطريقة منتظمة ومستمرة، بُغية استجلاب الشهوة والاستمتاع بإخراجها، وتنتهي عند البالغين بإنزال المني، وعند الصغار بالاستمتاع فقط دون إنزال.
* الوصول إلى الرعشة الجنسية وهزة الجماع، وذلك عن طريق المداعبة المستمرة للعضو التناسلي عند الرجل والبظر عند المرأة.
* استثارة ذاتية بغرض المتعة الجنسية.

ولعل تعدد الأسماء، التي أُطلقت على هذه العادة، وتنوعها، وكثرتها دليلٌ على انتشارها عبر العصور، وفي مختلف المجتمعات، كما تنُمُّ عن نظرة هذه المجتمعات لها. وفيما يأتي تحليلٌ سريعٌ لما تحمله هذه الأسماء من معانٍ ونظرات:

- **العادة السرية**: تُمارس سراً في الخفاء، بعيدا عن علم الآخرين وأنظارهم. وقد لا تظهر عليه علامات ممارستها، فتبقى سراً مع نفسه. وذلك لما لهذه العادة من رفضٍ اجتماعي، وتأثير على

مدى احترام الآخرين لممارسها من قبل المجتمع. والعادة إشارة إلى أن من يمارس هذا الأمر يعتادُ عليه ويصعُب تركه.

- **الاستمناء**: على وزن استفعال، وفيه معنى التكلف في الطلب، وهو طلب نزول المني بغير الطريق الطبيعي «الجماع، الاحتلام».

- **جَلْدُ عُمَيْرَة**: وكثيراً ما عُبر عنها بهذا الاسم في كتب الفقه، ولعل تعبير «جَلْد» يشير إلى الأذى والألم المترتب على هذا الأمر دنيا وديناً. كما أن إطلاق اسم عُميرة على الذكر «العضو التناسلي» فيه مزيدٌ من الأدب، والبعد عن العبارات، التي قد تثير من يطالع هذا الموضوع، إذا استعمل الاسم الحقيقي. كما أنه صيغةُ تصغير من شأنها أن تُوحي بلطف هذا المخلوق، وغلظة من يجلده، وتنفيرٍ من سوء فعلته.

- **الارتضاء الذاتي**: وهو تعبيرٌ غربيٌّ عن المشكلة، لإعطاء هذه الممارسة اسماً خفيفاً على المسامع، يحوي معنى الرضى أو طلب الرضى، وكلمة «الذاتي» لتشير أن الأمر شخصيٌّ. وكل ذلك راجع للثقافة الغربية، وطريقة التفكير في تلك المجتمعات. كما يشجعُ الاسم على التحدث بالأمر بدون خجل وربما بتوسع.

- **نكاح اليد**: ذكرُ النكاحِ في هذه التسمية يشيرُ إلى الأصل والوضع الطبيعي، وهو أن الشهوة والمتعة الجنسية تُطلب من خلال المعاشرة الزوجية. وذكر اليد إشارة إلى أن الغالب الأعم هو استعمال اليد في هذه الممارسة.

التاريخ والانتشار:

نجد في بطون الكتب ما يُفيد بأنَّ هذا الموضوع قد طُرق منذ القدم، حيث ناقشه أهل العلم المختصون في العلوم الدنيوية والشرعية على حد سواء، حتى إن بعض الكتب السماوية القديمة «الإنجيل» ورد فيها ذكر الاستمناء وتقبيح فاعله. كما ناقشه العديد من علماء الطب في العصر الإسلامي المبكر وأهل الفقه المتقدمون. لذا فإنه من الأمور التي ظهرت مبكراً في حياة البشرية.

أما الانتشار، فنستطيع الجزم أنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذا النوع من الممارسات. ومن الواضح أنه يتأثر بعوامل اجتماعية عدة. لذلك يختلف انتشاره من مجتمع لآخر، ومن حقبة زمنية إلى أخرى، حسب توافر هذه العوامل والتي سنفصل فيها لاحقاً: مثل النظرة الاجتماعية، والنظرة الدينية، ومدى انحلال المجتمع ومحافظته والوضع الاقتصادي ...الخ، كما يتأثر بالمرحلة العمرية "الفئات العمرية"، والمستوى الثقافي، والحس الديني لدى هذه المجتمعات، لكن لا يوجد دراسات إحصائية موضوعية تطرقت إلى هذه العادة إلا في أواخر عصرنا الحديث، حيث انتشرت الدراسات والأبحاث وتطورت وتعددت في كل المجالات والميادين، ولعل من أواخر ما كشفت عنه هذه الدراسات الإحصائية أن ٩٠ – ٩٨٪ من الشباب و٧٠ ٪ من الشابات مارسوا هذه العادة في وقت ما، أو ما زالوا يمارسونها. كما أشارت هذه الدراسة أن ٥٣ بالألف من الأطفال سن ٧–٩ سنوات قد سجَّلوا ممارسة مثل هذا النشاط الجنسي.

ويؤكد بعض الباحثين أن ممارسة هذه العادة "الاستمناء" قد تبدأ بطريقة مقصودة في سن التاسعة، وتعتبر أن الطفل في هذه السن يقترب من البلوغ، ونمو الرغبة الجنسية الموجودة في داخله، ويرى البعض الآخر أنها قد تبدأ في سن أبكر من ذلك "ست سنوات".

نظرة الأديان إلى هذه الممارسة:

نظرت معظم الأديان السماوية – لأهمية الجانب الأخلاقي لدى الإنسان في تشريعاتها – إلى هذه الممارسة نظرة التخطئة والتأثيم، ولكن الإسلام كان أكثرها واقعية، إذأعطى المسألة أحكاماً مختلفة، باختلاف مقتضى الحال ابتداءً من التحريم «لغير ضرورة» وانتهاءً بالإباحة وربما الوجوب، إذا تأكد أن هذه الممارسة تدفع ضرراً أكبر «الزنا، الانهيار النفسي».

البداية والدوافع:

تبدأ الممارسة مع نمو الرغبة الجنسية المودعة داخل الإنسان عند الاقتراب من سن البلوغ (٦ – ٩) سنوات، وقد يتم التعرف على هذه الممارسة من طرق عده منها: –

١– طريق تلقائي حيث يكتشف الشخص ذاتياً لذة مداعبة أعضائه التناسلية من خلال العبث بها.

٢– قراءة أو سماع حديث عن هذه الممارسة وكيفيتها بشكل مفصل فتثور الشهوة، ويدفعه الفضول لاكتشاف المجهول.

٣- تعلُّم هذه الممارسة من خلال الآخرين، الأصدقاء ... زملاء دراسة، أخوة أكبر سناً، أقارب وربما خدم؛ وقد يمارسونها معهم. وكذلك بعض المجلات الإباحية، ومواقع الإنترنت، وأشرطة الفيديو والأفلام الهابطة.

وتكون - بعد البداية - كل المؤثرات على الشهوة دوافع لهذه الممارسة، خصوصاً في غياب إمكانية تفريغ هذه الشهوة بالطريق الطبيعي السليم "الزواج"، ومن أهم هذه الدوافع:

١- التفكير في الجنس الآخر والشهوة، وتخيل الصور المحركة لها.

٢- التحدث عن الأمر "الجنس" مع الآخرين.

٣- النظر إلى ما يثير الشهوة، كالصور عند تصفح المجلات أو مشاهدة الإعلانات، أو أفلام تحوي مناظر جنسية، وما أسهل الحصول عليها من خلال الإنترنت.

٤- قراءة ما يُثير الشهوة من قصص ومناقشات، سيما تلك التي تتحدث بتفصيل مُشين.

وكثيرا ما تُمارس هذه العادة في مساكن يجتمع فيها الناس من جنس واحد مثل:

١. المدارس الداخلية.

٢. السجون والمعتقلات.

٣. الملاجىء.

٤. المعسكرات.

وقد يُمارسها المتزوجون لأسباب منها:

١. غياب الطرف الآخر "شريك الحياة".
٢. وجود موانع أو معوقات للجماع، مثل الحمل والمرض.
٣. بعد الجماع، عند إنهاء طرف بينما لم يصل الآخر للنشوة المطلوبة.

الأضرار هل هي حقيقية أم موهومة؟

من خلال استعراض ما كُتب في أضرار هذا الموضوع، نجد أن الغالبية العظمى تضع قوائم كبيرة لأضرار الاستمناء. بينما يميلُ البعض – وهم قلة – إلى التقليل من شأن هذه القوائم، والتشكيك في مصداقيتها. ومن خلال الدراسة المتخصصة، نجد أن الذين يميلون إلى تحريم هذه العادة يُبالغون في ذكر مضارها. بينما الذين يميلون إلى إباحتها – وهم على الأغلب من الإباحيين – يُنكرون أغلب هذه المضار. ولكنهم لا يتمكنون من إنكارها جميعاً، خصوصاً تلك المضار المترتبة على المبالغة في ممارستها.

ولكن هناك إجماع على مضار الإدمان على هذه العادة، والمبالغة في ممارستها "٣ مرات فأكثر أسبوعيا". ولعلنا نقف هنا على هذا الأمر بكل موضوعية، بعيداًعن الغلو والتخويف، أو التهاون والتخفيف؛ بهدف الوقوف على الحقائق لنستبين سواء السبيل. ولكن قبل ذلك لنحاول إيجاد الإجابة الواقعية عن السؤالين التاليين:

١ – هل يمكن لمن يمارس هذه العادة ألا يغالي فيها، ولا يصبح مدمناً؟

٢- وهل من فرق بين التفريغ الجنسي الطبيعي (بين الزوجين) والاستمناء؟

يشكل الإنسانُ "جسد وروح" خلقاً متكاملاً، متشابكة عناصره الحسية والمعنوية، بعضها ببعض. فعمل الغدد الصماء يتأثر بالوضع النفسي للإنسان، فتفرز الهرمونات المناسبة للحالة كماً ونوعاً، والتي بدورها تُنظم عمل الجسم. وتوازنها يؤدي إلى سلامته، وعدم اعتلاله عقلاً وجسداً وروحاً. وعليه فإن الممارسة الجنسية عند الإنسان، إنما هي عملية متكافئة عضويا ونفسيا، يشترك فيها كيان الإنسان كاملاً. وليس مجرد حركة ميكانيكية لتفريغ شهوة. بل قوامها الأول والأهم ما عبر عنه الله عز وجل بالسكن والمودة والرحمة. فالشوق للطرف الآخر "الزوج للزوجة، أو الزوجة للزوج" ليس مجرد الشوق لمن تنام وتمارس الجنس معه وحسب، بل هو الحب، حينما يسكن كل من الرجل والمرأة إلى الآخر فتكتنفهما العاطفة الزوجية، وتربط بين روحيهما الرحمة والمودة؛ فيكون لقاؤهما عاطفياً جميلا وحباً متبادلا. ليأتي النوم والجنس فيُضفي على العاطفة والسكن شعوراً بديعاً، وكأن هذه الإضافة "النوم والجنس" تمنح اقترانا جسديا بعد أن كان الاقتران الروحي بين هذين الزوجين!

أما الاستمناء فهو عملية تفريغ، بصورة جسدية بحتة، تعتمد على التخيلات والتصورات لا غير. فتكون مرهقة للجسد والروح معاً؛ لأنها تأتي بتفاعل الجسد وحده بعيدا عن الروح والمعاني العاطفية. لذا لا يمكن الوصول إلى الإشباع الجنسي بالاستمناء،

بل يُحدِث جوعة جنسية تقود إلى المزيد. إذاً فهنالك فرق كبير جدا بين العلاقة الجنسية بين الأزواج، والعملية الجنسية الانفرادية "الاستمناء"، بل وحتى العلاقة الجنسية غير الشرعية "الزنا".

وتُسمى هذه العادة بالارتضاء الذاتي، وهذا يعني أن الشخص الممارس لها يحاول أن يكتفي ذاتياً بتفريغ شهوته، بينما في الأحوال الطبيعية "الفطرية"، لا بد من وجود الزوجين ليتشاركا في هذه العملية. إذ لا تتم إلا في مكان خاص وفي وقت مناسب، فهذه العوامل مجتمعة هي التي تهيئ الفرصة لذلك اللقاء الآمن. بينما فرص العادة السرية أكثر بكثير، إذ يمكن ممارستها في أي مكان يستطيع الشخص أن يخلو لنفسه فيه، وهذا من أهم العوامل التي تقود الممارس إلى إدمان هذه العادة.

وتفيد الدراسات أن كل من يُمارس هذه العادة مهددٌ بخطر إدمانها، وإن الكثيرين ممن يُمارسونها هم حقاً مدمنون لها. حتى أولئك الذين يستخدمونها بشكل مقنن بفترات زمنية معينة لا يستطيعون تركها، فهم مدمنون لهذه العادة!! وبهذا نكادُ نجزم أنه لا يمكن لمن يُمارس هذه العادة إلا أن يكون مدمناً لها. وهو عُرضة بشكل كبير جداً إلى المغالاة فيها؛ لأن كل ممارسة تُحدث جوعة لما بعدها ... مما يوقعه في سلسلة من المخاطر الصحية والنفسية، سنتحدث عنها في موقعها من هذا البحث.

عواقب الاستمناء:

فكما أسلفنا، نجد أن الذين يميلون إلى تحريم هذه العادة، يبالغون في ذكر مضارها. بينما الذين يميلون إلى إباحتها، ينكرون أغلب هذه المضار، ولكنهم لا يستطيعون انكارها جميعاً، خصوصاً تلك المضار المترتبة على المبالغة في ممارستها. وجل هذه العواقب المذكورة من قبلهم، ترتبط بالإدمان عليها والمغالاة فيها. وهي أضرارٌ جسيمة وكثيرة، إذا صحت، ويمكن أن تؤثر على مختلف أجهزة الجسم، كما أن لها آثاراً ليست على الصعيد الفردي فحسب، بل على المجتمع والأمة بأكملها.

الآثار الصحية على أجهزة الجسم:

١ - الجهاز التناسلي:

* سرعة القذف.
* ضعف الانتصاب.
* فقدان الشهوة أولاً بأول.
* خشونة في جلد القضيب عند الرجال، تُفْقِده بعض خصوصيته.
* تضخم البظر عند الأنثى.
* احتقان وتضخم البروستاتا.
* حرقان عند التبول، ونزول بعض الإفرازات المخاطية.

* التهابات مزمنة بالبروستاتا.
* حساسية تظهر على الأعضاء التناسلية، تولد حكة غير معروفة السبب.

٢- الجهاز العصبي:

* إضعاف المقدرات الذهنية «الذاكرة والقدرة على التركيز».
* التأثير على أعصاب الجهاز التناسلي، بحيث لا تتجاوب مع المثيرات الطبيعية «عند الزواج»، فتعويد الألياف العصبية على الهياج اليدوي، يُضعف إرواؤها بالهياج الطبيعي خلال الجماع عند الزواج.
* اضطراب الرؤية.

٣- أجهزة الجسم الأخرى:

* إنهاك لقوى الجسم، واستنزاف للطاقة وهدرها. فقد قدر العلماء أن قذفة واحدة تُعادل مجهود ركض ٣ كيلو مترات.
* كسل ووهن وشحوب في الوجه، ورغبة زائدة في النوم.
* مشكلات وآلام في الظهر والمفاصل والركبتين.
* قد تؤثر على غشاء البكارة عند الإناث، وتفقد الفتاة عذريتها بسبب حركات لا إرادية في لحظة الرعشة الجنسية.

الآثار الاجتماعية:

١- السقوط والانحراف: هناك خدعة من نسج الشيطان وتلبيسه واستدراجه، خصوصاً للشباب المؤمن، تدفع به إلى ممارسة هذه العادة، ثم المغالاة فيها فالإدمان عليها. مفاد هذه الخدعة، أن ممارسة هذه العادة بقصد البعد عن الزنا، خاصةً أننا نعيش زماناً كثرت فيه الفتنُ، والإغراءات، ومثيرات الشهوات، وتعثر فرص الزواج؛ فيلجأ الشباب إلى هذا الأسلوب لإخماد نار الشهوة ومقاومة الفتن. لكن الخبرة واعترافات الممارسين، كشفت عن حقيقة هي عكس ذلك؛ إذ يفتح عليه الشيطان باباً من جهنم يضرم من خلاله نار الشهوة. فيدفعه إلى البحث عن المزيد، وعن طريق لتحويل ممارساته إلى واقع، فلا يجدُ غير طريق الغي والانحلال والبغي، ليتورط في مشكلات أخلاقية وانحرافات عن سواء السبيل. حتى وإن تربى في بيئة محافظة، وقد ورد في الحديث الشريف: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)**[١] . وكل ذلك من تلبيس إبليس وتخطيطه، ليوقع من استعصى عليه من الناس في شراكه. ويهلك بذلك الحرث والنسل، وفي الحديث: **(إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم...)**[٢].

٢- استمرار العادة بعد الزواج: حيث لا يجد الممارس لهذه العادة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

المتعة في سواها. فلا يرضى من الطرف الآخر ولا يُرضيه. فيؤدي ذلك إلى نقص في العلاقة العاطفية والودية، علاوةً على العلاقة الجنسية، فيفضي ذلك إلى نفور وظهور المشكلات التي قد تنتهي إلى الطلاق. وقد اطلعنا على حالات لمتزوجين كادوا أن ينهوا حياتهم بالانتحار؛ بسبب ادمانهم على العادة السرية رغم أنهم متزوجون.

٣- كثرة حالات الطلاق وانتشار الفواحش والعلاقات المحرمة: فعندما لا يجد أي من الطرفين ما يُشبع رغباته «احتياجاته» الجنسية لدى الآخر، فيظن أن السبب من الشريك الآخر، فيعمد إما إلى الطلاق أواستبدال هذا الشريك بآخر -وهذا لن يحل المشكلة بالنسبة للطرف الممارس طبعاً- أو أن يعمد إلى طريق الفحش والحرام، للحصول على البديل. ولن يحل هذه المشكلة بل تصبح مشكلة اجتماعية أكثر منها شخصية.

٤- الانطواء والانعزال عن الآخرين: إذأن المستمني يجد دائماً ضالته في البعد عن الآخرين، والخلو بنفسه؛ ليمارس هذه العادة متى شاء.

٥- زوال الحياء الحقيقي من الله وظهور الحياء المزيف لدى المدمن: فيحرص المدمن على إخفاء ممارساته عن الناس، وألا يعلم بها أحد منهم، لكنه لا يهتم أن الله يراه وهو يصنع ذلك ولا يستحي منه.

٦- اغتيال عفة المجتمع وحياءه:

- الخيال العفيف النظيف يتحول -عند ممارس هذه العادة- إلى خيال متنقل في جميع مجالات الجنس والشهوة، بلا تعفف أو حياء من نفسه.

- الإنسان الخلوق عفيف النظر، غضيض الطرف عن المحارم، وعن عورات الآخرين. لكن إذا أدمن الاستمناء، تحول إلى إنسان متتبع للعورات، يلاحقها ويتصيدها. علاوةً على التحديق فيها وإمعان النظر، كلما سنحت فرصة لذلك.

٧- التقصير في أداء الواجبات تجاه الأهل والذرية: عادة الاستمناء هذه تستهلك الكثير من وقت المدمن وجهده، بل وتركيزه وانشغاله الذهني، وربما جزءاً لا بأس به من أمواله. وكان أولى بكل هذا أهله، رعاية وإنفاقاَ وتربيةً وملاحظة ومتابعة. وهل يكون المدمن هنا قادراً على أداء واجباته نحو أسرته، وحمايتهم من كل ما يحيط بهم من مخاطر. وخاصة ما يتعلق بالمشكلات الأخلاقية، والقيم الاجتماعية والتربوية المختلفة؟.

الآثار الاقتصادية على الفرد والوطن:

١- التعامل مع المواد الإباحية وإنفاق المال في سبيل الحصول عليها، مما يُفقد الشخص جزءًا من دخله بلا مردود، سوى المزيد من الغرق في الرذيلة؛ لأنه أصبح كشارب ماء البحر المالح ليرتوي، فلا يزداد إلا عطشاً. وقد أظهرت بعض الدراسات أن مجموع الأموال التي أُنفقت على المواد الإباحية وأفلامها الحية بلغت عشرات المليارات من الدولارات!

٢- التحصيل العلمي والعملي: لم تعد ظروف التعليم ثم العمل والكسب أمراً سهلاً، فالجامعات تتطلب معدلات مرتفعة، والحصول على فرصة عمل يتطلب كذلك معدل تخرج مرتفعاً من الجامعة

بالإضافة إلى المهارات والخبرات العملية. وهذا كله يتطلب عقلاً ناضجاً مليئاً بالمعلومات الأكاديمية والمهارات والقدرات المختلفة. ويتطلب كذلك نشاطاً بدنياً وصحة جيدة وانتظاماً في العمل. وكل ذلك يصعب – إن لم يكن مستحيلاً – على مدمن الاستمناء أن يقوم بمتطلباته وهو غارق في بحور الشهوة، وهذه العادة السيئة، ذات الآثار المدمرة على الجسم والنفس "والتي مر ذكرها وبيانها". وإن تمكن البعض من الصمود على هذه الحالة بعض الوقت، غير أنهم قد لا يستمرون على ذلك وقتاً طويلاً. مما يؤثر على إنتاجية المجتمع، واقتصاديات الوطن، فضلاً عن أثر ذلك على الفرد نفسه.

٣- الرغبة في النوم وإضاعة الوقت: فيقل الإنتاج ويقل النشاط خلال العمل، ولكل هذا آثاره – التي لا تخفى على كل ذي لب – على صعيد الفرد والمجتمع والأمة على حد سواء. تقول الدراسات التي أُجريت في أميركا أن العادة السرية تكلف الاقتصاد الأمريكي ما لا يقل عن ٣,١٤ مليار دولار نقصاً في الإنتاجية شهرياً!!

الآثار النفسية:

- الإحساس بالحسرة والندم.
- الشعور بالذنب وانكسار النفس.
- تأنيب الضمير وعدم احترام الذات.
- التوتر والقلق النفسي.
- حدة المزاج "العصبية".

«لو أن المواد الإباحية منعت عني في صغري، لما وصل بي الشغف بالجنس والشذوذ إلى هذا الحد ... لقد كان أثرها علي شنيعاً للغاية، فأنا الآن شاذ ... ومغتصب ... وقاتل ... !!» بهذه الكلمات أنهى «آرثر غاري بايشوب» اعترافاته قبل أن يُعدم! ... رغم أن المعروف عنه ظاهرياً أنه في غاية اللطف والمرح، والبعد عن السذاجة في الكلام. وقد كان منذ صغره من البارزين المتفوقين، كما التحق بسلك الكشافة ثم التبشير، وحاز على أعلى الأوسمة في هذا المجال. غير أنه قُبض عليه لقتله خمسة أطفال- في أوقات متفرقة - بعد الاعتداء عليهم جنسياً، وكان عمر أصغرهم «داني دافس» ٤ سنوات. كان يعتدي على الطفل جنسياً، ثم يقتله ويضعه في صندوق سيارته، وبعد إنهاء أعماله الوظيفية اليومية وتناول غدائه بشكل طبيعي، يقوم بالتخلص من الجثة!!

ولعل من أهم الدراسات الملفتة للانتباه، تلك التي قارنت بين انتشار الجريمة، وانتشار العادة السرية في الولايات المتحدة. إذ كشفت الدراسة عن ازدياد في معدل انتشار الجريمة كلما زاد معدل انتشار العادة السرية، ونقصانه كلما نقص الأخير، وذلك ما بين عامي ١٩٦٠م و ٢٠٠٠م.

الوقـايـة خيـر من العلاج:

موضوع الوقاية والعلاج في هذا الأمر متداخل جداً، فجميع الخطوات الوقائية مفيدة جداً في المساعدة للخروج من المشكلة وعلاجها. وهناك خطوات ونصائح للعلاج، لكن لا نحتاجها للوقاية، فهي بمنزلة الدواء الذي لا يتناوله إلا المريض. ولهذا سنبدأ بذكر الأمور الوقائية والاحترازية، والتي تفيد في العلاج، ثم نتكلم عن الخطوات العلاجية.

* الوقاية "قبل أن يقع المحظور" نصائح للأهل:

١. مراقبة الأهل للأبناء خصوصاً في سن المراهقة، والبقاء قريباً منهم، وتوثيق العلاقة الودية معهم "مصادقتهم"، كي يكون الأهل هم المرجع الأساسي للأبناء. ومتابعة تطورات نضوجهم النفسي والعاطفي في هذه الفترة، لتوجيهها الوجهة السليمة الصحيحة.

٢. توجيه الأبناء منذ الصغر إلى كيفية اختيار الصديق الصالح، والابتعاد عن رفاق السوء، واختيار الأصدقاء المناسبين لهم -إن أمكن- بما لايلغي شخصية الابن، أو يؤدي إلى إخفائها.

٣. تثقيف الأبناء، وتوضيح ما يحصل لهم من تغيرات جسمية ونفسية، خلال هذه المرحلة التي يعيشونها. وتوعيتهم نحو مخاطر التعامل الخاطئ مع هذه التطورات، والسير في طريق الفساد. وبيان مخاطر هذه العادة ومضارها من قبل الأهل، أو أخذهم إلى أهل الاختصاص "أطباء ومرشدين نفسيين" لتلقي النصيحة.

٤. إشغال الوقت "وقت الأبناء" بكل ماهو نافع ومفيد، وتهيئة الأدوات التي يحتاجونها، وتشجيعهم لممارسة هوايات نافعة.

٥. التربية الدينية السليمة، وإنشاء الأبناء على طاعة الله وخشيته، وبغض المعاصي والخوف من الوقوع فيها، "تقوية الوازع الديني لدى الأبناء".

٦. إبعاد الأبناء قدر المستطاع عن مشاهدة المناظر المثيرة، أو مطالعة الموضوعات والقصص التي من شأنها تحريك الغرائز. علاوة على مشاهدة الأفلام ومواقع الانترنت الإباحية، وتربيتهم على معاني العفة والتعفف. ويجدر بالذكر هنا الإشارة إلى بحث أُجري في بريطانيا في الثمانينيات على طلاب المدارس الابتدائية. تضمن البحث عرض لقطات إباحية ومشاهد جنسية مثيرة أمام بعض هؤلاء الطلاب، بينما تم وصف هذه اللقطات نظرياً للقسم الآخر منهم؛ فكانت إجابة الذين شاهدوا اللقطات بأنهم يرغبون بممارسة ما شاهدوه بأعينهم، بينما لم تكن نفس الإجابة لدى الذين سمعوا بذلك (if you see it you want to do it!).

٧. الحد من فرص الخلوة في ظروف تسمح لهم بممارسة هذه العادة، وعدم السماح لهم بقضاء وقت طويل في الحمام "خصوصاً عند الاستحمام".

٨. تعويد الأبناء على التستر منذ الصغر، وتنفيرهم من التعري أو العبث بأعضائهم التناسلية.

٩. تعويد الأبناء على النظافة منذ الصغر، خصوصاً بعد

التبول والتبرز، والتنظيف الجيد لمكان خروج السبيلين، حفاظاً على صحتهم من جهة، ولتجنب إصابة الأعضاء التناسلية بالتهابات، تؤدي إلى الحكة؛ مما يدفع الابن والابنة إلى حك هذه الأعضاء، ومن ثم التعود على العبث بها.

١٠. التقليل من استعمال التوابل والبهارات في الطعام خصوصاً في سن المراهقة.

١١. الزواج المبكر للأبناء والبنات قدر المستطاع، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، كما جاء في الحديث الشريف.

١٢. تعويد الابناء "خصوصاً في مرحلة المراهقة" على الإكثار من الصيام وتشجيعهم على ذلك.

١٣. إبعاد الأبناء كل البعد عن وسائل اللهو غير المباح، كالغناء والموسيقى، خصوصاً ما يثير العاطفة نحو الجنس الآخر، ويحرك الشهوة.

برنامجك العلاجي:

أول خطوات العلاج هي القناعة التامة بمضار هذه العادة، وضرورة التخلص منها، ثم تأتي بعد ذلك الخطوات الآتية:

١. الجأ إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، واطلب منه المدد والعون فمن كان مع الله كان الله معه، ومن دعاه صادقاً لبى دعوته. وقد ورد في دعاء التوبة: ("... ثم العزم "اللهم إني تبت إليك

ورجعت إليك وندمت على ما فعلت وعزمت ألا أعود"")[1].

٢. ثق بنفسك وقوة إرادتك، وأنك قادر ومصمم على التغلب على هذه المشكلة.

٣. استشعر حب الله، عز وجل، وانوِ ترك هذه العادة إرضاءً له، تبارك وتعالى، ومن ثم محافظةً على صحتك، وعلى علاقتك مع ربك وعلاقتك مع الآخرين.

٤. احترم ذاتك وقرارك، واعلم أنك أنت الرقيب على نفسك والمربي لها، التزاماً وتركاً وتعويداً.

٥. تخلص من كل ما لديك من مواد جنسية «صور، فيديو، مواقع انترنت، قصص مسموعة أو مقروءة، قنوات فضائية، الخ...» تخلص من كل ذلك نهائياً؛ إعلاناً منك عن صدق التوبة وإخلاص النية.

٦. لا تخلد إلى النوم إلا إذا كنت نعساً «شديد النعاس»، وغادر الفراش مباشرة بمجرد الاستيقاظ.

٧. لا تشغل ذهنك بالمشكلة، واترك صداقة كل من يذكِّرك بها، أو يُعاني منها «فحقيقة المشكلة وجودها في ذهنك» واشغل نفسك في أمور هامة، وذات فائدة.

٨. غادر السرير فوراً إذا شعرت بالرغبة الشديدة لممارسة الاستمناء وأنت فيه، غير من وضعك، واصرف تفكيرك عن هذه

---

(١) لم أجد له أصل فيما لدي من مراجع.

الرغبة. اجلس مع الآخرين، اتصل بصديق جيد، اقرأ شيئاً من القران الكريم، توضأ وصلِّ شيئاً من النوافل، امسك مصحفاً بيدك... ضمه لصدرك وإن لم تقرأ فيه ... الخ

٩. اتبع برنامجاً لتمارين النشاط اليومي، وضاعف نشاطك «خصوصاً الرياضي» كلما شعرت بزيادة الضغط النفسي.

١٠. ضع أهدافاً زمنية للامتناع. تبدأ باليوم ثم الأسبوع ثم الشهر.... الخ

١١. غيِّر مفهومك الذاتي عن نفسك بالمخيلة الذهنية، وذلك بأن تُمضي بعض الوقت يومياً تتخيل نفسك فيها قوياً ... منضبطاً ... يسهل عليك التغلب على حالات الغواية والإغراء.

١٢. جاهد من أجل صقل وتطوير قدراتك ومواهبك. وحسن علاقتك مع الله ثم مع عائلتك والآخرين.

١٣. كن أليفاً ودوداً، ادفع نفسك لتكون مع الآخرين، وتعلم بأن تستمتع بالعمل والحديث معهم.

١٤. كن حذراً من المواقف التي تحبطك أو تلك التي تسبب لك الشعور بالوحدة والملل والتثبيط، ووهن العزيمة. خطط مسبقاً لتجاوز مثل هذه الحالات من خلال قراءة الكتب، زيارة الأصدقاء، القيام بعمل مفيد ... وهكذا.

١٥. قم بعمل رزنامة جيب على بطاقة صغيرة لشهر، احملها معك ولا تُرها لأحد. إذا كان لديك فشل في السيطرة على نفسك لوِّن اليوم بالأسود. هدفك هو عدم وجود أيام سوداء. ستكون هذه

الرزنامة مذكرة مرئية قوية للسيطرة الذاتية. تمعن بها جيداً عندما تراودك نفسك، مجتهداً في تذكيرها حتى لا تضيف يوماً أسودَ آخر. احتفظ بهذه الرزنامة حتى تحصل على الأقل على ثلاثة أشهر نظيفة.

١٦. حدد الأوقات والظروف التي تجعلك تعاني من هذه المشكلة، عندها ستعرف كيف يحصل ذلك. خطط لكسر ذلك، وفك قيدك من خلال نشاطات مضادة.

١٧. حافظ على مثانتك خالية، بالامتناع عن تناول كميات كبيرة من السوائل قبل الذهاب للنوم.

١٨. قلل من كمية التوابل والبهارات في طعامك. تناول أقل ما يمكن من الطعام خلال الليل.

١٩. الجم نفسك ولا تدعها ترجع إلى أي من العادات أو الميول السابقة، التي كانت جزءاً من المشكلة، فالشيطان لا يستسلم، كن رزيناً واثقاً من الدفاع. حافظ على المواقف العقلية الإيجابية. يمكنك كسب هذه المعركة، نشوة النصر التي ستشعر بها عندما تنجح ستعطيك دافعاً قوياً للمتابعة، وروحاً جديدة للتحدي. إنها معركة حقيقية بينك وبين الشيطان، إياك أن تخسرها...قال رسول الله ﷺ: **(إن المؤمن ليُنضي شيطانه كما يُنضي أحدكم بعيره في السفر)**[1].

٢٠. أكثر من الصيام. واجتهد أن تبقى على طهارة؛ فإنها طاردة للشيطان، وجالبة للبركة. قال رسول الله، ﷺ، لأنس بن مالك: **(يا**

---

(١) رواه أحمد.

بني إن استطعت ألا تزال على الطهارة فافعل، فإن من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطي الشهادة)[1].

العلاج البغضي «الرابط»:

في مجال العلاج النفسي هناك تقنية جد فعالة تسمى العلاج البغضي «العلاج بالبغض والكره». عندما نقرن تفكيرنا بأشياء نبغضها جداً «مثيرة للاشمئزاز» مع تفكيرنا بالأشياء الممتعة غير المرغوب فيها، فإن التفكير «الاشمئزازي» والشعور بالاشمئزاز سوف يبدأ بإلغاء «طرد» الشعور بالمتعة. فإذا قرنت أمراً بغيضا «مثيراً للاشمئزاز» بفقدانك السيطرة على نفسك، فسوف يساعدك ذلك على التوقف عن الممارسة. على سبيل المثال إذا انتابتك الرغبة بالاستمناء، تخيل كأنك بهذه الممارسة تستحم في حوض من الديدان، وستأكل العديد منها إذا قمت بهذا الفعل. ستجد أن الرغبة ستزول أو تصبح بحدها الأدنى. فتسهل السيطرة على الأمر وتمتنع عن الممارسة أولاً بأول حتى، تقلع عن هذه العادة بإذن الله.

راقبوا أبناءكم:

هناك إشارات ودلائل يجب ملاحظتها من قبل الوالدين والمربين، إذ يمكنهم من خلالها معرفة إذا كان المراهق -ذكراً كان

---

(١) رواه الترمذي.

أم أنثى- مدمن على ممارس العادة السرية:

١. هل يعاني ابنك من حب الشباب؟ ... غالبا مايؤدي الاستمناء إلى زيادة الهرمونات، التي تعتبر السبب الأولي لظهور حب الشباب، وقلة من المراهقين الذين لايمارسون الاستمناء يُعانون من هذا الأمر!!

٢. هل يعاني ابنك من الفتور والوهن، وحالات من الحزن ؟!! ... غالباً ما يكون السبب في ذلك عند المراهقين هو الاستمناء المزمن "إدمان العادة السرية".

٣. هل يقوم ابنك بقفل باب غرفته أو غرفة نومه بالمفتاح؟! ... حرص المراهقين على الخصوصية ليس صحياً!! ... فالفرصة تكون بذلك سانحة للاستمناء.

٤. هل تلاحظ وجود آثار للسائل المنوي على غطاء فرش السرير الذي ينام عليه "الملايات"؟ ... قطعاً هو مصدره !!

٥. هل تلاحظ أن لديه أفكارا تحررية، أو آراءً سياسية منبثقة عن النظرية المثالية؟ ... الضعف الفكري ينجم عادة عن الاستمناء، ويدفع باتجاه تبني فكر غير سوي أو التعاطف معه.

٦. هل يتتبع ابنك الموضات والصرعات في لباسه وتسريح شعره ؟! ... إذا كان لا يستطيع مقاومة الموضات ومجاراة الأقران؛ فلا يمكنه مقاومة الرغبة بالاستمناء كذلك.

٧. إذا تحدثت معه عن المشكلة، هل يبدو مذنباً ويريد دفع التهمة عن نفسه بشدة ؟! ... قليل جداً من المراهقين الذين يتحدثون

عن مشكلتهم بانفتاح!!

٨. هل تظهر عليه أي من العلامات الواردة في موضوع عواقب إدمان العادة السرية مثل:

- الوهن والشحوب والكسل؟
- كثرة النسيان وعدم التركيز؟
- تراجع في التحصيل العلمي؟
- الرغبة الزائدة في النوم؟

إن وجود ملاحظة أو أكثر، من الملاحظات المذكورة آنفا، ليس دليلاً قاطعاً على أن الابن ممارس للعادة السرية، لكنها قرائن كلما كثرت زادت الاحتمالية. فإذا ما حام الشك لديكم حول أبنائكم، فلا يسيطرن عليكم الاضطراب والخوف، بل تعاملوا مع المسألة بروية وتؤدة، واتزان وهدوء أعصاب، ويفضل استشارة ذوي الاختصاص قبل البدء بالتدخل، أو مصارحة الإبن بذلك. ولتكن الحكمة والموعظة الحسنة هما السبيل والدليل. ونكرر النصيحة فنقول: انتبهوا لفلذات أكبادكم ... إنهم أمانة في أعناقكم!!

ضوابط وأخلاقيات التثقيف الجنسي

اهتم الإسلامُ بموضوع التربية الجنسية إهتماماً بالغاً، وكان سبّاقاً إلى كل ما هو ضروريٌ ومفيدٌ للإنسان، ناهياً عن أي ممارسةٍ مخلّةٍ أمام الصغير أو الكبير. فالتربية الجنسية القويمه هي واجبٌ وضرورةٌ، إذ هي من الناحية الدينية واجبٌ لما ترتبَ عليها من أحكامٍ شرعية. ومن الناحية النفسية هي ضرورةٌ، لنشأةٍ تربويةٍ سليمةٍ، خاليةٍ من العُقد والتشوهات النفسية والأمراض الجسدية. ولقد جاءت التربية الجنسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموعة من القيم التي اقترنت بها وزادتها أهمية وقدسية ألا وهي: طلبُ العلم، والحياءُ، والخلقُ، وصحةُ العبادة. ونذكر هنا بحديث عائشة رضي الله عنها في مدحها نساء الأنصارِ بقولها: **(رحم الله نساءَ الأنصارِ لم يمنعهنَّ الحياءُ أن يتفقهَنَ في الدين)**[1].

إنَّ مفهوم التربية الجنسية، أو الثقافة الجنسية، من وجهة نظرٍ شرعيةٍ، مشتمَل على كل ما تضمنته النصوص الشرعية من أوامر، أو نواهٍ، أو معلومات؛ لبناء قناعاتٍ، أو إصدار أحكامٍ حول القضايا المتعلقة بالجنس، والممارسات الجنسية، وما يمت لها بصلة مباشرة أو غير مباشرة. ويقصدُ بها تعديلُ سلوكِ الناس تجاه هذه الأمور، بما يتفق مع المقاصد الشرعية. فعملية التثقيف الجنسي إنما

---

(١) صحيح مسلم.

هي منظومةٌ أخلاقيةٌ مهنيةٌ، قبل أن تكون عملية تعليمية، يجب أن تؤدى على أنها نوعٌ من العمل الصالحِ بحرصٍ وحذرٍ، وفي جوٍ من الجِديَّة والاهتمام؛ حتى تُؤتي أكلها. من هنا، كان لا بد من التنويه إلى مجموعةٍ من القواعد الأخلاقية، التي يجب أن تُراعى من قبل القائمين على التثقيف الجنسي، من مربين وأولياء أمور مسؤولين عن تنشئةِ الجيل وتربيته:

* أن يُخلصَ النيةَ لله في أدائه لمهمة التثقيف الجنسي.

* أن يتحلى بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يستقر في روعه أنه من وسائل رحمة الله، ومغفرته، وسِتره، وحبه لعباده.

أن يتصف بالوقار فلا يطيش ولو لحقٍّ، ويعفُّ اللسانِ ولو في فكاهة، يوحي بالثقة ويبعث على الاحترام، مهذباً مع الجميع. كما يَجبُ أن يتسمَ بالجدِّيةِ، والاحتشام، منضبطاً بالضوابط والحدود الشرعية.

* يعلم أن الهداية من اللهِ، لا يوفقُ إليها إلا هو، ولا يحرم منها إلا هو.

* أن يتوفر له حدٌ أدنى من العلوم الصحية، والأخلاق والتوجيهات النبوية، والأحكام الفقهية؛ فلا يُرشدُ إلى محرمٍ لمعالجةِ مشكلةٍ سلوكيةٍ، أو نفسيةٍ.

* أن يكون قدوةً فيما يدعو إليه، من العفةِ والطهارةِ، والحفاظ على صحته، والقيام بحق بدنه؛ فلا يأمرُ بما لا يأتمِر به، ولا ينهى عما لا ينتهي عنه.

* أن يدرك أنَّه من وسائل الله في هداية خلقة، فيلتمسُ توفيقه من الله، ولا ينسبُ لنفسه الفضل فيما يوفقه الله إليه من نجاحٍ، مبتعداً عن الزهو والتفاخرِ بشكل مباشرٍ أو غير مباشر.

* أن يُلزمَ نفسهُ بتقديمِ المعلومةِ العلميةِ الصحيحةِ، التي تتناسبُ مع جنسِ الفئة المستهدفةِ وفئتها العمريةِ. ويسعى لتطويرِ معارفه في هذا المجال باستمرار.

* أن يعمل على تنويع وسائل التعليم المستخدمةِ وتبسيطِ المعلومةِ، كما يجب أن يتفهم تفرد كلَّ واحدٍ من الأبناء وطبيعته.

* أن يعمل على تذليل العقبات التي قد تعترضُه في برنامج التثقيف الجنسي، بمشورةِ أهل الرأي والعلم، والمجادلة بالتي هي أحسن.

* أن يداوم على مواكبة العلمِ وتقدمهِ، والاطلاع على كل جديدٍ ونافعٍ.

أن يطرح محاور النقاش بجديةٍ، بعيداً عن الهزل أو التندر بالأفكار التي يتم طرحها.

* أن يتجنب أي ألفاظٍ محرجةٍ، قد تخدش الحياء العام للآخرين، ويعتمد المصطلحات الشرعية والعلمية عند الحديث عن القضايا الحساسة.

* أولياء الأمور والمربون متكافلونَ فيما بينهم على وقاية الأبناء، متكاملون بتنوع اهتماماتهم، وتخصصاتهم. فالمربي أخو المربي، وزميلُه في رسالةٍ نبيلةٍ، وعملٍ عظيمٍ، تحقيقاً لقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ

عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1].

ومن واجب المربي أن يبذل من علمه وخبرته وتجربته لكل من يحتاجها؛ وذلك لوجوبه بقول الرسول ﷺ: **(من سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجمه الله بلجام من نارٍ يوم القيامة)**[2]. ولفضله بقوله ﷺ: **(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**[3].

* ليس المربي عنصراً منعزلاً أو وحيداً في التوجيه والإصلاح، بل هو عضوٌ في فريق كبير من المشتغلين في التربية؛ فعليه أن يُوثِّقَ صِلاتَ التعاونِ الإيجابي، وتحمل المسؤوليةِ وتكبيرِ الأهدافِ المشتركةِ، بين مختلف أطرافِ عمليةِ التوجيهِ والإصلاحِ الخاصة بمنظومة التربية الكلية.

* من أجل الأبناء كانت التربية، وليس العكس ... فصلاحُ النشءِ، ونظافة المجتمعِ، وسلامة الأمةِ غايةٌ، والتربية والتوجيهُ وسيلةٌ. والابن مخدومٌ والتربية والتوجيه خادمٌ. فينبغي على المربي تطويعُ الظروفِ والجهودِ بوحيٍ من صالحِ الأبناء، وما يعودُ عليهم بالصحةِ والسلامةِ والعافية. وكل ذلك في إطار شرعي مُوثَّق.

---

(١) المائدة ٢.

(٢) سنن أبي داود.

(٣) رواه الستة ماعدا البخاري، وأحمد في المسند.

* وهذا النوعُ من التربية غدا ضرورةً إنسانيةً، وحاجةً أساسيةً، وليست ترفاً أو كمالاً؛ لهذا تُعدُّ خدمةً لا يُردُّ طالِبها، ولا يُشترطُ لها أجرٌ. فإنما هي زكاةُ علمِ المربي ووقته؛ وكما تَجِبُ الزكاةُ على المالِ فإنها تَجِبُ على العلمِ، والوقتِ، والجهد.

* والمربي مؤتمن على أسرارِ الناسِ وسِترُ عوراتِهم، واحترام خصوصياتهم، لأنَّهم يكشفون له عن خباياهم، ويُودعونه بعض أسرارهم طواعيةً، مطمئنينَ إلى حُرمةِ السر وحِفظِه. بالإضافة إلى أنه مطلب شرعي عام، إذ يقول الرسول ﷺ: **(من ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة)**[1]. فلا يجوز نشر شيء من ذلك، إلا للضرورة وبدون ذكر لما قد يكشف عن هوية الأشخاص.

* احترامُ حقوقِ الأبناء في إبداءَ الآراء التي تَختلف عما يتم طرحه، على أن يتمَّ مناقشتها بأُسلوب علمي مقنع وهادئ.

* المربي عضوٌ حيويٌ في المجتمع: يتفاعلُ معه، ويؤثرُ فيه ويهتمُّ بأموره، عملاً بالحديث الشريف: قال رسول الله ﷺ: **(الدين النصيحةُ، قُلنا لمن يارسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[2].

* على المربي أن يهتمِّ بنشرِ الفضيلةِ، ويكافحَ العاداتِ والممارساتِ الخاطئةِ بالحُسنى، وخاصةً تلكَ التي تُؤدي إلى انتشارِ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الستة ما عدا البخاري، وأحمد في المسند.

الأمراض الجنسية. ويدعو إلى الالتزام الديني الراشد إذ أنَّه من أهم أسباب رضوان الله، ثم الوقاية من الأَوبئة والآفات المهلكة.

* وعلى المربي أن يكون على وعيٍ بأعرافِ المجتمعِ الذي يعملُ فيه، وعاداته وتقاليده؛ ليقررِ ما يأخذَ وما يدعُ من التوجيهات، والإجراءات الصحية، والعادات والسلوكيات؛ ليستعمل أحسنها وأقربها لفهمهم وعاداتهم، ويبتعدَ عن كل ما يمكن أن يعكرَ صفو العملية التربوية.

* المربي عضوٌ ايجابي في المجتمعِ، مسكونٌ بهمِّ إصلاحِ النشىء وتربيته، متحمل تبعات مخالطة الناس، والصبر على أذاهم؛ مصداقاً للحديث الشريف: (**المؤمنُ الذي يخالطُ الناس ويصبرُ على أذاهم، أفضلُ من المؤمنِ الذي لا يخالط الناسِ، ولا يصبرُ على أذاهم**)[1].

* وعلى المربي – مهما كانت عواطفهُ – أن يحافظَ على مهمتهِ الأساسيةِ، وهي الحفاظُ على صحة الإنسان وتوجيهه إلى ما يحفظُ عليه صحتهُ وسلامتهُ، ويصونُ أخلاقه وصحة سلوكياته.

* ولا يجوز لمن يمتهنُ التربية والتثقيف الجنسي أن يطوعَ إمكانياته، في خدمة أي نوع من الأذى والتضليلِ، وكل ما من شأنه إلحاقَ الأذى الجسدي أو النفسي أو الأدبي بالإنسان أياً كان، من خلال أدائه لمهمة التثقيف الجنسي، مهما كانت الاعتبارات السياسية والاجتماعيه.

---

(١) رواه البخاري، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة.

* أن تكونَ أبعدَ ما يُمكن عن إثارة النقاشاتِ التي تُسببُ الحرجَ أو الاستفزازَ لمشاعر الحضور.

* التدخلُ الذكيُّ من قِبلِ المربي في منع المداخلات من قِبلِ بعضهم وهي التي قد تُسببُ حرجاً للآخرين.

* أن تكونَ علاقة المربي بالآخرين قائمةً على مبدأِ «التقبلِ غير المشروطِ» تمهيداً لإكسابهم المعارف، والمهاراتِ الإيجابية، وتبصيرهم بما هو سلبي وإيجابي.

* يتقبلُ المربي عثرات الغير، ويتوقعُ أخطاءهم، ويعدها مؤشراً على اتجاهِ سير عمليةِ التربية، مع الإعداد المسبق للوسائل الكفيلة بمواجهة تلك العثرات.

* يتفهمُ المربي مشاعرَ الآخرين ومواقفهم، وينقدها نقداً بناءً، قوامه الحوارُ والبرهان العلمي. ويتجنبُ إطلاق الأحكام الوصفية أو التنبؤية عليهم.

* تجنُّبُ الاختلاطِ ما أمكن، واعتماد مبدأ الفصل النوعي، في جلساتِ التربية والتثقيفِ الجنسي، على صعيدِ المربين والأبناء «المربون الذكور مع الأبناء الذكور، والإناث مع الإناث» ولا تُخالف هذه القاعدة إلا للضرورة القصوى، وهي تقدر بقدرها.

الخلاصة

أيها المربون الأفاضل، أيتها المربيات الفضليات، أولياء الأمور الكرام، أبناءنا وبناتنا الأحبة ... لقد جاء هذا الكتاب، بكل ما فيه من محتويات وفصول، بعد رحلة طويلة في مجال التثقيف الجنسي ونتاج خبرة واسعة في هذا المجال. جاب مشروعنا «وقاية الشباب» أرجاء العالم، عملنا خلالها مع مختلف الخلفيات الثقافية. خُطت أولى كلماته قبل عقد من السنين، لتنضج بعد ذلك فصوله، وتتكامل أفكاره، وتتبلور مبادئه على مدار هذه السنوات. ليبرز لنا أخيرا هذا المصنف على هيئته التي بين أيديكم، لا تعدو كل كلمة فيه أن تكون زفرة ألم، أو بارقة أمل، أو خفقة قلبٍ محبٍ مشفقٍ، أو صرخة مخلص ملتاعٍ، أو حكمة خبير حاذقٍ مخلص؛ كل ذلك يصدر من مشكاة عاطفةٍ جياشة غامرة، تجاه النشء وجيل المستقبل.

صُنِّفَ ليكون دليلاً يقتنى، فيرجع إليه بين الحين والآخر، وعند الحاجة. ولتتم الفائدة منه على أتم وجه، ننصح بأن تتم قراءته بتمعن وتركيز، وقد تتم قراءة بعض الفصول عدة مرات؛ ليرسخ في الذهن محتواها، ويستقر في الوجدان فحواها. ولا بد من معاودة قراءة قائمة المحتويات المرة تلو المرة، حتى يسهل على الوالد والمربي الرجوع إليها وقت الحاجة، وسرعة الوصول إلى الفصل المناسب. ثم الحرص على أن يبقى الكتاب في متناول اليد، مع ملاحظة المراحل العمرية التي يكون فيها الأبناء، والرجوع إلى الكتاب؛ لمعرفة ما المطلوب من

المربي نحو الأبناء في هذه المرحلة، وكيفية التصرف معهم.

وبهذا المصنف، نأمل أن نكون قد قدمتا الخدمة المناسبة، للمربين وأولياء الأمور، في بيان مفهوم التربية الجنسية، وأهميتها، ومشروعيتها. وكيفية متابعتها لدى الأبناء، في مختلف مراحلهم العمرية؛ لإعطائهم حقوقهم الكاملة في كل مرحلة، ومعالجة قضاياهم بما يناسبها ويتلاءم معها، من غير زيادة ولا نقصان. سائلين الله القبول منا ومنكم، وأن يقي شباب هذه الأمة مكر الماكرين، وكيد الكائدين، وشر المتربصين

المراجع

- أحمد بن شعيب بن علي النسائي. سنن النسائي «بشرح السيوطي وحاشية السدي». بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٤.

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٦.

- أحمد عبد اللطيف، و فايزة الشمالي. دليل الآباء العلمي في التربية الجنسية لأبنائهم. عمان: المطابع العسكرية، ٢٠٠٦.

- اسماعيل العجلوني الجراحي. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٥١ هـ.

- أمل طوقان. خمس دقائق من تسع وثلاثين دقيقة. عمان: جمعية العفاف، بلا تاريخ.

- بسمة الخاطري. احفظ الله يحفظك. عمان: جمعية العفاف، بلا تاريخ.

- لبيب ولبيبة، والأسرة السعيدة. عمان: جمعية العفاف، بلا تاريخ.

- بسمة الخاطري، و عبد الحميد القضاة. قصص في الطهر والعفاف. عمان: جمعية العفاف، ٢٠١٢.

- جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي. الدرر المنتثرة

في الأحاديث المشتهرة. دمشق: مكتبة قرطبة، بلا تاريخ.
– حسن إبراهيم عبد العال. أصول التربية الجنسية، عند الإمام أبي الفرج ابن الجوزي. طنطا: دار الصحابة للتراث، ٢٠٠٥.
– حسن منسي. علم نفس الطفولة. اربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
– حسين علي المصطفى. ثقافتنا الجنسية بين فيض الإسلام واستبداد العادات. المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.
– سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. سنن أبي داوود. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، بلا تاريخ.
– عبد الحميد القضاة. الأمراض الجنسية، عقوبة إلهية. عمان، ١٩٨٥.
– عبد الحميد القضاة، ضحى عوض الله، محمود أمين الشريدة، أحمد الكوفحي، زين الدين مهيدات، و مفيد سرحان. الميثاق الأخلاقي للعاملين في التثقيف الجنسي. عمان: جمعية العفاف، ٢٠١٢.
– عبد الحميد القضاة، و محمود أمين الشريدة. مبادئ الوقاية في الإسلام. همان: جمعية العفاف، ٢٠١٣.
– عبد الرحيم بن الحسين العراقي. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠.
– عبد الرحيم صالح عبد الله. عوامل الإنحراف الجنسي، ومنهج الإسلام في الوقاية منها. عمان: دار النفائس، ١٩٩٢.

- عبد الرؤوف المناوي. فيض القدير، شرح الجامع الصغير. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ.
- عثمان الطويل. التربية الجنسية في الإسلام، للفتيان والفتيات. عمان: دار الفرقان، ١٩٩٢.
- علاء الدين المتقي الهندي. كنز العمال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩.
- علي القاري، و النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة. شرح مسند أبي حنيفة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.
- علي بن أبي بكر الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢.
- علي كمال. الجنس والنفس في الحياة الإنسانية. المجلد الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤.
- كامل العجلوني. الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام، المرأة والرجل وعلاقتهما. عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧.
- محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. سنن ابن ماجة. بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٧٥.
- محمد اسماعيل البخاري، الجعفي. الجامع الصحيح «صحيح البخاري». الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٦.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي». بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦.
- محمد بن اسماعيل البخاري. الجامع الصحيح. دمشق -

بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢.

- محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم. المستدرك على الصحيحين. جدة: دار الحرمين، ١٩٩٧.

- محمد حسين. الثقافة والتربية الجنسية من منظور اسلامي. الاسكندرية: دار الدعوة، ٢٠٠٤.

- محمد رفعت. المراهقة وسن البلوغ. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧.

- محمد سعيد درويش. نصائح للعرسان. جدة: دار المنارة، ٢٠٠٣.

- محمد عبد الكريم المباركفوري. تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي. القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١ هـ.

- مروان القيسي. الإسلام والمسألة الجنسية. عمان: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٥.

- مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري. المسند الصحيح «صحيح مسلم». بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١.

- هيئة علماء «الجمعية الشرعية» لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية. الرؤية الإسلامية في مواجهة الأيدز. عمان: جمعية العفاف الخيرية، ٢٠٠٨.

السيرة الذاتية

محمود أمين الشريدة

المؤهلات :

- بكالوريوس في الصحة العامة تخصص أوبئة وإحصاءات حيوية، كلية الطب – جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية – الأردن ١٩٨٩م .
- دبلوم عالي في الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة اليرموك – الأردن ١٩٩٢م .
- ماجستير في العلوم الصحية ، كلية الطب – جامعة سراوك – ماليزيا ١٩٩٩م .

الخبرات :

- عضو فريق وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسيا والأيدز.
- رئيس قسم المشاريع ، مؤسسة فريق العون الصحي الدولي.
- محاضر في معهد المهارات للعلوم الصحية.
- مساعد مدير المختبرات التخصصية لشئون البحث والتطوير.
- المدير التنفيذي لجمعية المحافظة على القرآن الكريم – فرع اربد.
- مساعد بحث في كلية الطب – جامعة سراوك – ماليزيا.
- مسؤول مكتب العون المباشر في تنزانيا.
- مساعد بحث في كلية الطب – جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.
- مدير مركز المزار الإسلامي.